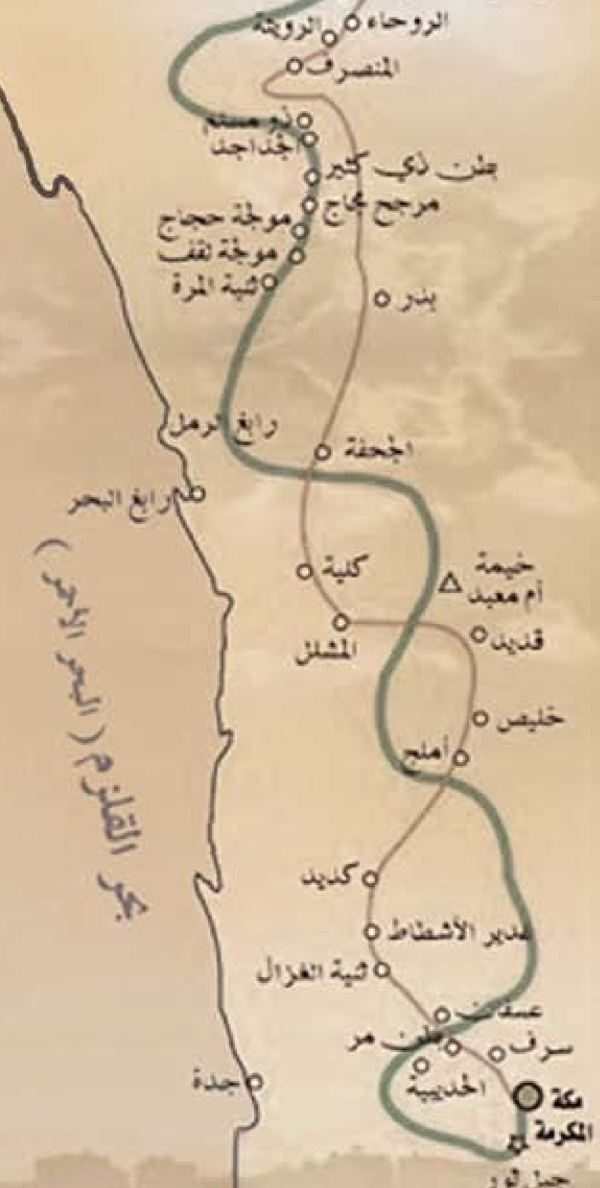


العدد ١١٠٠ - الاثنين ١٥ محرم ١٤٤٣هـ - الموافق ٢٣/٨/٢٠٢١م



الثقة في الله من أعظم دروس الهجرة





جمعية إحياء التراث الإسلامي

مشروع الوقف الخيري رؤية إسلامية متطورة

تبرعك لمشروع الوقف الخيري... يجعلك تساهم في جميع أوجه الخير المختلفة





كل هذا من ثمرة وقفكم لعام 2021 -مشروع توزيع الأضاحي (اليمن)



web www.waqf-khairy.com

تبرع أونلاين ولو بدينار واحد فقط

يمكن لعملاء زين التبرع من خلال إرسال الرقم (1) برسالة نصية بقيمة (1) دينار أو إرسال رقم (5) برسالة نصية بقيمة (5) دينار على رقم (94044)

قرطبة – قطعة 5 – مقابل فحص العيون التابع لإدارة المرور
تلفون: 99804733 – 25310521 – فاكس: 25339067
ص.ب: 5585 – الصفاة – الرمز البريدي: 13056 – دولة الكويت

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾



الفرقان

مجلة إسلامية أسبوعية تصدر عن جمعية إحياء التراث الإسلامي

الفرقان ١١٠٠ - ١٥ محرم ١٤٤٣هـ
الاثنين - ٢٣/ ٨/ ٢٠٢١م

رئيس مجلس الإدارة
طارق سامي العيسى

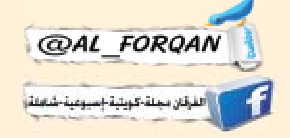
رئيس التحرير
سالم أحمد الناشي

www.al-forqan.net
E-mail: forqany@hotmail.com

المراسلات

دولة الكويت
ص.ب ٢٧٢٧١ الصفاة
الرمز البريدي ١٣١٣٣
هاتف: ٢٥٣٦٢٧٣٣ (مباشر)
الخط الساخن: ٩٧٢٨٨٩٩٤
٢٥٣٤٨٦٥٩-٢٥٣٤٨٦٦٤ داخلي (٢٧٣٣)
فاكس: ٢٥٣٦٢٧٤٠

حساب مجلة الفرقان
بيت التمويل الكويتي
01101036691/2



طبعت في مطابع لاكي

في هذا العدد

الاشتراكات

الاشتراكات السنوية
- ١٥ دينارا للأفراد (أول مرة)
- ١١ دينارا التجديد لمدة سنة
- ٢٥ دينارا للمؤسسات والشركات داخل الكويت أو ما يعادل ١٠٠ دولارا أمريكيا لمثيلاتها خارج الكويت.
- ٢٠ ديناراً كويتياً (للدول العربية)
- ٣٠ ديناراً كويتياً (للدول الأجنبية)

وكلاء التوزيع
- دولة الكويت:
شركة الخليج للتوزيع
هاتف: ٢٤٨٣٦٦٨٠
: ٢٤٨١١٦٦٦

سعر النسخة في الكويت ٢٥٠ فلسا

السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٥٠ فلسا - قطر ٤ ريالات - سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - المغرب ٥ دراهم - الإمارات ٤ دراهم



دروس من الهجرة النبوية

الهجرة النبوية حدث عظيم، فيه من الآيات البيّنات والدروس والعِبَر ما لو استلهمته أمّة الإسلام اليوم -وهي تعيش على مفترق الطُرُق- لتحقّق لها عزُها وقوّتها ومكانتها وهيبتها، ولعلمت علم اليقين أنّه لا حلّ لمشكلاتها ولا صلاح لأحوالها إلاّ بالتمسُّك بإسلامها، والتزامها بعقيدتها وإيمانها.

لقد أكّدت دروس الهجرة النبويّة أنّ عزّة الأمّة تكمن في تحقيق كلمة التّوحيد، وأنّ أيّ تفريط في أمر العقيدة مآله ضعفها وهزيمتها، فالمتأمّل في هزائم الأمم وانتكاسات الشعوب عبر التاريخ يجد أنّ مَردّ ذلك إلى التفريط في أمر العقيدة والتساهل فيها، فقوّة الإيمان تفعل الأعاجيب، وتجعل المؤمن واثقًا بالله -تعالى- مطمئنًا إليه متوكلاً عليه حسن التوكل، ولا سيّما في المحن والشّدائد.

فهذا أبو بكر الصدّيق -رضي الله عنه- ينظر إلى مواضع أقدام المشركين حول الغار فيقول: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرَنَا! فيجيبه -ﷺ- جواب الواثق بنصر الله: يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟ وفي هذا درسٌ بليغٌ لدعاة الحقّ وأهل الإصلاح في الأمّة: أنه مهما احْلَوْلَكَت الظُلمات فوعد الله آتٍ لا محالة: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا﴾ (يوسف: ١١٠).

كما أنّ عقيدة التّوحيد هي الرّابطة التي تتضاءل أمامها مختلف الانتماءات، فاستحقاق الأمّة للتبجيل والتّكريم مدينٌ بولائها لعقيدتها وارتباطها بمبادئها، يُقال ذلك ونحن أمام واقع مرير من تيّارات إلحاديّة وافدة ومبادئ عصريّة زائفة، ترفع شعارات مصطنَعة وتطلق نداءات خادعة.

ومن الدروس المهمة في الهجرة النبوية حسن التوكل على الله -تعالى-، وهو صدق اعتماد القلب على الله في دفع المضار وجلب المنافع، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي إلا الله، ولا يمنع إلا الله، ولا يضر ولا ينفع سواه، قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق) وقال -ﷺ-: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا» رواه أحمد.

ولقد كان -ﷺ- في رحلة الهجرة الشريفة متوكلاً على ربه واثقاً بنصره، يعلم أن الله كافيه وحسبه، ومع هذا كله لم يكن -ﷺ- بالمتهاون المتواكل الذي يأتي الأمور على غير وجهها، بل إنه أعد خطة محكمة، ثم قام نفذها بسرية وإتقان، وهذا كله شاهد على عبقريته وحكمته -ﷺ-، وفيه دعوة للأمة إلى أن تحذو حذوه في حسن التخطيط والتدبير وإتقان العمل واتخاذ أفضل الأسباب مع الاعتماد على الله مسبب الأسباب أولاً وآخرًا.

كذلك من الدروس المهمة في الهجرة النبوية التي تحتاجها الأمة الآن عدم اليأس والقنوط، فلقد مكث النبيُ -ﷺ- في مكة مدّةً من الزّمن، يدعو قومه إلى الهدى، فما آمن له إلاّ قليل، بل عاش الاضطهاد والنّكال، وعُذّب هو وأصحابُه، فلم يكن ليَثنيَه كلُ ذلك عن دعوته، بل زاده إصرارًا وثباتًا، ومضى يبحث عن حلولٍ بديلة، فكان أنْ خرجَ إلى الطائف، باحثًا عن أرض صالحة للدّعوة، لكنْ وُوجِهَ هناك بأقسى ممّا توقّع، فأوذي، وقُذف بالحجارة، وخرج من الطّائف مطرودًا وقد تجاوز الخمسين، ولكنه -ﷺ- كان أشد ما يكون عزيمة على مُواصلة رسالته، فأخذ يَعْرض نفسه بإصرار على القبائل في موسم الحجّ، ويقول: «ألاَ رجل يَحْملني إلى قومه، فَإنّ قريشًا قد منعوني أن أبلّغ كلام ربّي»؛ فرفضَتْ خَمْسَ عشرةَ قبيلةً دعوتَه، حتى فتح الله له صدور الأنصار، فكانت بيعة العقبة الأولى والثّانية، وكانت سفارة مصعب بن عمير إلى المدينة، الذي هيّأ التُربة الصالحة لاستمرار الدّعوة، وتكوين الدّولة في المدينة النبويّة، فكانت الهجرة تتويجًا لعَمَل دؤوب، وصَبْر شديد، وحركة لا تعرف الكلل أو الملل.

أخبار الجمعية

تراث الأندلس تقيم برنامجا ثقافيا لقراءة الكتب (سرد)

ضمن برنامجها الثقافي لقراءة الكتب (سرد)، أعلنت جمعية إحياء التراث الإسلامي بدء طرح المرحلة الثالثة من البرنامج بعد نجاح المرحلتين الأولى والثانية، وسيتناول في هذه المرحلة قراءة لكتاب (الوابل الصيب للإمام ابن قيم الجوزية)، وأعلنت إدارة الفرع أن المشاركة في البرنامج متاحة للجنسين، وسيستمر البرنامج حتى نهاية الأسبوع الأول من شهر سبتمبر، وسيكون بواقع ١٠ صفحات يوميا، والجدير بالذكر أن هذا البرنامج من الأنشطة المتميزة والناجحة، ولا سيما في ظل الاحترازات الصحية، وكذلك الدورة العلمية الإلكترونية التي تقام مرتين في العام، وتستضيف شيوخا وعلماء من أنحاء العالم الإسلامي ولا سيما من المملكة العربية السعودية.

بتنسيق مع جمعية إحياء التراث الإسلامي

سعادة سفير الكويت في كينيا قصي الفرحان يفتتح أحد الآبار الارتوازية

بتنسيق من جمعية إحياء التراث الإسلامي افتتح سعادة سفير دولة الكويت في كينيا الأستاذ قصي الفرحان أحد الآبار الارتوازية في مدينة (كوالي) في شرق كينيا بتبرع من أهل الخير في الكويت، وقد افتتح البئر باحتفالية متواضعة، حضرها كل من مسؤول المياه السيد عمر، والسيد أحمد عبدي والسيد عمدة المدينة والسيد ممثل جمعية إحياء التراث في دولة كينيا الصديقة.

وفي كلمة لسعادة السفير قصي الفرحان: حمد الله، وأثنى عليه لما يسره من إنجاز هذا المشروع الخيري وغيره من المشاريع التي تنطلق من حاجة حقيقية لإخواننا المسلمين هناك لتوفير المياه النقية لهم، وقد حضر الافتتاح حشد من أهالي المنطقة يحملون أواني مختلفة لنقل الماء الذي يحتاجونه.

من جانبه قال الشيخ: أحمد عبدي (ممثل هيئة الإغاثة لشرق أفريقيا): إن هذا اليوم الذي نحتفل فيه بافتتاح هذا المقر هو يوم فرح كبير، ولا نملك إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لدولة الكويت، ولسعادة السيد السفير لأعمالهم الخيرية الكثيرة،كما نشكر إخواننا في جمعية إحياء التراث الإسلامي، وجمعية آفاق الذين نفذوا الكثير من المشاريع لإخوانهم المسلمين في هذه المنطقة من مساجد وآبار وغيرها.

والجدير بالذكر أن هذه المشاريع تنفذ بالتنسيق مع المؤسسات والجمعيات الخيرية الكويتية والكينية المعتمدة لدى وزارة الخارجية الكويتية ووزارة الشؤون الاجتماعية، وهي مشاريع رائدة ومتزايدة برعاية ومتابعة من هذه الوزارات في ظل حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ: نواف الأحمد الجابر الصباح، وولي عهده سمو الشيخ/ مشعل الأحمد الجابر الصباح، وحكومة دولة الكويت.

محاضرات حول مهمة المسلم في الحياة والفراغ والموبقات الفكرية في وسائل التواصل

أقام فرع جمعية إحياء التراث الإسلامي في منطقة العمرية العديد من الأنشطة والفعاليات الصيفية ومن ذلك محاضرة بعنوان: (مهمة المسلم في الحياة)، ألقاها الشيخ: د.فيصل علوش العتيبي يوم الاثنين ٨/١٦ ومحاضرة بعنوان: (الفراغ سلاح ذو حدين) ألقاها الشيخ: جاسم محمد الحجي يوم الأربعاء ٨/١٨، فضلا عن محاضرة للشيخ: د.صالح عبدالرحيم السعيد ألقاها يوم الخميس ٨/١٩ وكانت بعنوان: (الموبقات الفكرية في وسائل التواصل).

تراث سعد العبد الله كرمت المتفوقين في الدورة الربيعية لحفظ القرآن

قامت جمعية إحياء التراث الإسلامي في منطقة سعد العبد الله يوم الثلاثاء الماضي ٢٠٢١/٨/١٧ بتكريم طلبة الحلقات المتفوقين باختبارات الدورة الربيعية التي أشرف عليها مركز قيم وهمم التابع للفرع.

أشعات وتحاليل طبية وزراعة عدسات

٣٠ ألف دينار من إعانة المرضى لمستشفى الصباح وابن سينا

في إطار جهودها الإنسانية التي تقوم بها جمعية صندوق إعانة المرضى، قامت بسداد رسوم عن المرضى غير القادرين الذين ترعاهم الجمعية في مستشفى الصباح ومستشفى ابن سينا بقيمة ثلاثين ألف دينار، منها ١١ ألف دينار لمستشفى الصباح عن عدد ١٢٧ مريضا، كانت عبارة عن رسوم غسيل الكلى وتكاليف أشعات الرنين المغناطيسي والأشعة المقطعية والتحاليل الطبية، فضلا عن ١٩ ألف دينار مصاريف عن ٢٦١ مريضا معسرا بمستشفى ابن سينا والمراكز التابعة له، وكانت عبارة عن رسوم زراعة عدسات طبية للمرضى وأشعات مقطعية ورنين مغناطيسي وتحاليل طبية كذلك.

وقام مدير عام الجمعية جمال الفوزان بتسليم الشيك لمدير مستشفى الصباح الدكتور نايف الحربي، بحضور عبدالحميد الشمري (مساعد المدير العام للشؤون الإدارية)، وعايد العنزي (رئيس الشؤون المالية)، في حين قام رئيس قسم المتابعة المالية بالجمعية عبد الصبور الجهلان بتسليم شيك مستشفى ابن سينا إلى رئيس الشؤون المالية عواطف غانم العلي.



الفوزان ود. الحربي والشمري ود. العنزي والجهلان اثناء تسليم الشيك بمستشفى الصباح

جديرٌ بالذكر أن الجمعية تتكلف سنويا ما يزيد عن خمسة ملايين دينار أدوية غالية الثمن وأجهزة طبية ومساعدات لأكثر من عشرين ألف مريض معسر داخل الكويت.

مساكن مناسبة للأرامل والمهجرين الفقراء في مخيمات الإيواء

حملة إغاثة عاجلة لإيواء الأسر الأشد حاجة في سوريا

مع دخول شهر المحرم وفي يوم عاشوراء المبارك الذي أنقذ الله فيه موسى من فرعون، أطلقت جمعية إحياء التراث نداء للمحسنين في الكويت لتقديم الإغاثة العاجلة للفقراء والمحتاجين، ولاسيما في سوريا، ويستهدف مشروع (إيواء الأرامل والمهجرين) إلى إيواء الأسر الأشد حاجة في سوريا وإغاثتهم؛ إذ لايخفى على أحد حجم المأساة وما يعانيه إخواننا هناك، من تشرد وجوع وعري في ظل ظروف إنسانية صعبة، ويأتي هذا المشروع استمرارا لحملتها الخيرية لتقديم مختلف أنواع الإغاثات العاجلة للأسر المحتاجة والفقيرة هناك، ودعت الجمعية إلى الاستمرار في تلك الفزعة الخيرية الكويتية التي تنادى إليها أهل الخير في الكويت، من خلال جمعية إحياء التراث الإسلامي لإغاثة إخواننا في سوريا، ومنذ بداية الأحداث هناك وستستمر -إن شاء الله- حتى نهاية، الأزمة وانفراجها عاجلا -إن شاء الله- وقد حققت حملات سابقة طرحتها الجمعية نجاحا منذ اليوم الأول لطرحها.

وقد أعلنت إدارة الحملة الخاصة بالمشروع أنها تستهدف بناء مساكن مناسبة للأرامل والمهجرين الفقراء في مخيمات الإيواء؛ حيث ستبلغ تكلفة الوحدة السكنية ٣٥٠ د.ك، ويعد هذا المشروع من المشاريع المهمة لإغاثة الفقراء والمحتاجين في سوريا وباب عظيم للأجر؛ حيث يقول الرسول -ﷺ-: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»، من جهة أخرى تستقبل جمعية إحياء التراث الإسلامي بفروعها التبرعات لمشروع (إيواء الأرامل والمهجرين) وغيره من المشاريع المخصصة لإغاثة إخواننا اللاجئين والمهجرين السوريين التي يمكن المساهمة بسهم فيها.

برنامج صيفي للفتيات بأنشطة شرعية واجتماعية وترفيهية

نسائية التراث وأنشطة صيفية ثقافية متميزة

ضمن موسمها الثقافي الصيفي الموجه للنساء نظمت نسائية التراث العديد من الفعاليات والأنشطة من خلال الإدارات والفروع التابعة لها في مختلف مناطق الكويت؛ حيث قام مركز حفاظ الحديث التابع لإدارة فروع العمل النسائي التابع للجمعية بتنظيم دورة في قراءة الكتاب الشهري العاشر (الإلمام ببعض آيات الأحكام تفسيراً واستنباطًا) للشيخ ابن عثيمين، وستستمر حتى يوم ٢٠٢١/٩/٣٠م، والقراءة فيها قرابة (١٠) صفحات يومياً عدا يومي الجمعة والسبت؛ حيث يرسل المقرر مقروءاً ومسموعاً على برنامج التيلجرام لحفاظ الحديث، وستمنح شهادة لمن تكمل قراءة الكتاب ضمن الدورة.

مركز حفاظ الحديث

كما أطلق مركز حفاظ الحديث دورات عدة خلال العطلة الصيفية الحالية، ومنها دورة أحاديث مختارة من أحاديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- للفتيات من مرحلتي الابتدائي والمتوسط، فضلا عن دورة في حفظ وفقه (٥٤) حديثاً من أحاديث عمدة الأحكام (كتاب الجنائز والزكاة والصيام)، ودورة في حفظ وفقه (٥٠) حديثاً من متن (الأربعين النووية وزيادات ابن رجب)؛ حيث يقوم المركز بإرسال الكتاب المقرر للمشاركات، فضلا عن سلسلة صوتية بالأحاديث المختارة لهن، ويتم الحفظ ضمن خطة محددة، كما يتم عمل اختبار للمشاركات، وتوزيع شهادات الكترونية لمن اجتازت منهن هذه الدورة.

مجلس سماع (متن الأربعين النووية)

ومن الأنشطة التي نظمها مركز حفاظ الحديث أيضاً عقد مجلس سماع (متن الأربعين النووية(للشيخ/ أبي الحجاج يوسف بن أحمد العلاوي منح فيه سند سماع لمن حضر المجلس كاملاً. وفي لجنة سعد العبد الله النسائية نظم نادي حرائر برنامجاً صيفياً للفتيات من عمر (١٥ – ٢٠) سنة بعنوان: (غيث يسقي القلوب حبا) ضم جوانب شرعية واجتماعية وترفيهية عدة؛ بهدف بناء فتاة قادرة على مواجهة التحديات، مستندة إلى الكتاب والسنة والتمسك بالدين الإسلامي ومكارم الأخلاق؛ لإنشاء جيل يتصف بالاستقامة والإحسان وتحمل المسؤولية وزيادة الترابط الأسري.

نسائية التراث بهدية تقيم أندية للأطفال لتحفيظ القرآن

بدأ في جمعية إحياء التراث الإسلامي التسجيل في نادي المبدعين الذي تشرف عليه لجنة هدية النسائية؛ حيث سيُستقبل فيه الأطفال من سن (٢,٥ - ٥,٥) سنة، وسيُحفظ من خلاله القرآن الكريم والحديث، وتأسيس اللغة العربية والإنجليزية والرياضيات، فضلاً عن تنظيم الأنشطة الترفيهية والرحلات، وذلك بهدف تنمية المهارات اللغوية والعقلية والقدرات التعبيرية لدى المشاركين، وتنشيط ذاكرة الأطفال، والاعتماد على النفس، وتعزيز العقيدة الصحيحة وتقوية روابطها، كذلك توصيل بعض الأمور الفقهية كالصلاة والصيام بطريقة صحيحة،والجدير بالذكر أن جمعية إحياء التراث الإسلامي أنشأت أندية خاصة بالصغار بهدف الاهتمام بالطفل، وتنمية قدراته العقلية والاهتمام بالتربية الخُلقية، كذلك الاهتمام بالجانب اللعبي والترفيهي عند الطفل من خلال المناهج والبرامج المعدة، وذلك لبناء جيل مستقل يستطيع التفكير والإبداع والإنتاج.

تقيمهما إحياء التراث تحت شعار (دورات دروب الخير) كل يوم ثلاثاء..

دورتان في (أحكام القرآن) و(تفسير سور المفصل) عبر البث المباشر (زووم)

تحت شعار (دورات دروب الخير) وضمن برنامجها الثقافي تنظم نسائية التراث العديد من الدورات الشرعية في علوم العقيدة والسيرة والتفسير والحديث، التي ستستمر حتى نهاية شهر سبتمبر من هذا العام، وتشرف عليها إدارة فروع العمل النسائي التابعة للجمعية، ومن هذه الدورات التي تعقد كل يوم ثلاثاء دورة في (شرح وتهذيب كتاب أحكام القرآن) يلقيها الشيخ: د. محمد الحمود النجدي الساعة (١٢,٣٠) ظهراً، ودورة بعنوان: (وقفات المتأمل من هدايات سور المفصل) تلقيها د. صبيحة الفرج كل ثلاثاء أيضاً في تمام الساعة (٧,١٥) مساءً عبر البث المباشر (زووم) رمز الدخول (٢٢٥١)، ودعت الإدارة النساء والطالبات للمشاركة في هذه البرامج والاستفادة منها في استغلال الوقت فيما يعود عليهن بالخير والمنفعة.

التراث تعلن بدء التسجيل في مسابقة الكويت الكبرى الرابعة والعشرين لحفظ القرآن الكريم وتجويده

برعاية حضرة صاحب السمو أمير البلاد
الشيخ/ نواف الأحمد الجابر الصباح
- حفظه الله ورعاه -
وبالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف
جمعية إحياء التراث الإسلامي
تدعوكم للتسجيل في
مسابقة الكويت الكبرى
لحفظ القرآن الكريم وتجويده
الرابعة والعشرون
اطمئن
رابط التسجيل
https://forms.gle/A1GdbpVagLVx9G7D9
الأمانة العامة للأوقاف
التسجيل للكويتيين فقط
آخر موعد للتسجيل
2021-10-2
رئيس مراكز التحفيظ
طلال الظفيري
للتسجيل والاستفسار: 97209970

أعلن رئيس مراكز تحفيظ القرآن الكريم بجمعية إحياء التراث الإسلامي طلال محسن الظفيري، بدء التسجيل في مسابقة الكويت الكبرى الرابعة والعشرين لحفظ القرآن الكريم وتجويده، التي تحمل شعار (اطمئن)، وتنظمها الأمانة العامة للأوقاف.

وقال الظفيري: إن المسابقة متاحة لمختلف الفئات، وأن آخر موعد للتسجيل هو ٢/١٠/٢٠٢١، وستقام تصفيات أولية للمشاركين، وستخصص حلقات للمراجعة لهم قبل خوضهم التصفية.

واغتنم الظفيري تلك المناسبة في الإشادة بدعم صاحب السمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله- لكل ما من شأنه خدمة القرآن الكريم وعلومه ونشره على النطاق المحلي والعالمي، بدءًا من (جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم) التي تشمل الحفظ والقراءات والتجويد والتلاوة، و(مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم) المحلية، اللتين تحظيان برعاية سموه وعنايته الكريمة، تكريما لأهل القرآن وحفاظ كتاب الله -تعالى-، فضلا عن طباعة المصحف الشريف وتوزيعه في مختلف دول العالم، وغير ذلك من الاهتمامات الكبرى.

كما عبر الظفيري عن شكره لإدارة الصندوق الوقفي التابع للأمانة العامة للأوقاف على جهوده في دعم المسابقة، مؤكدًا حرص الجمعية على تقديم مستوى متميز في تلك المسابقة إن شاء الله، مؤكدًا في الوقت ذاته أهمية تلك المسابقة في إشاعة الأجواء القرآنية، وما سادها من روح التنافس والتنظيم في حفظ القرآن الكريم وتلاوته.

ومن الجدير بالذكر أن جمعية إحياء التراث الإسلامي فازت بالدرع الذهبي في هذه المسابقة ثماني مرات من المسابقة الثانية إلى التاسعة، ثم بعد ذلك تنوعت الجوائز بين الدرع الفضي والبرونزي.

وفي ختام تصريحه حث الظفيري أبناء الكويت ذكورًا وإناثًا من الحافظين والحافظات على المشاركة في هذه المسابقة القرآنية المباركة؛ لما لها من أثر كبير في إذكاء روح المنافسة القرآنية في الأجر والثواب، والتواصل مع جمعية إحياء التراث الإسلامي من خلال الدخول إلى الموقع عبر الرابط أو الباركود للتسجيل.

للاستفسار من خلال هاتف ٩٧٢٠٩٩٧٠

شرح كتاب النكاح من صحيح مسلم

باب: التّرغيب في النكاح

الشيخ: محمد الحمود النجدي

عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللهِ بِمِنًى، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ، فَقَامَ مَعَهُ يُحَدِّثُهُ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَا نُزَوِّجُكَ جَارِيَةً شَابَّةً، لَعَلَّهَا تُذَكِّرُكَ بَعْضَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

النكاح لغةً

الضم والتداخل، ومنه قولهم: تناكحت الأشجار، أي: انضم بعضها إلى بعض، وكثر استعماله في الوطء، وسُمي العقد نكاحا؛ لأنه سببه، أي: يسمى به العقد مجازًا؛ لكونه سببًا له، وعن الزجاج: النكاح في كلام العرب بمعنى الوطء والعقد جميعًا.

النكاح شرعًا

عقد التزويج، أي: عقد يعتبر فيه لفظ «نكاح» أو «تزويج» أو ترجمته، وهو حقيقة في العقد، مَجازٌ في الوطء؛ لكثرة وروده في الكتاب والسنة في العقد، والعقد يعني: الحاصل بالرضا المعبَّر عنه بالإيجاب والقبول، وعلى وجه مشروع بأركان عقد الزواج، والشروط المخصوصة فيه.

والإسلامُ دِينُ الحَنيفيَّةِ السَّمْحة، وقدْ راعَى فِطرةَ الإنسانِ، وأوجَدَ المسالكَ الصَّحيحة لحاجاته، والعلاجَ لمُشكلاته؛ فلمْ يَطلُبْ من المُسلم أنْ يَكبِتَ غَرائزَهُ وشَهَواته، وفي الوقت ذاته لَم يُطلِقْ لشَهَواته العِنانَ، فيَرتَعَ كالبَهائم دُونَ حَسيبٍ أو رَقيبٍ.

الزواج من سنة الأنبياء والمرسلين

ليس من سنة نبينا -ﷺ- ولا من سنة الأنبياء قبله -عليهم الصلاة والسلام- ترك الزواج، بل إن الزواج من سنتهم، وقد كان لهم أزواج وذرية، كما قال -تعالى-: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} (الرعد: ٣٨)، يقول -تعالى- ذكره: {ولقد أرسلنا}، يا محمد {رسلا من قبلك} إلى أمم قَدْ خَلَتْ من قبلِ أمتك، فجعلناهم بَشَرًا مثلَك، لهم أزواج ينكحون، وذريةٌ أنْسَلوهم، ولمْ نجعلهم ملائكةً لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، فنجعلَ الرسولَ إلى قومك من الملائكة مثلهم، ولكن أرسلنا إليهم بشرًا مثلهم، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرًا مثلهم. الطبري.

رحمة من الله

وقال القرطبي -رحمه الله-: أي جعلناهم بشرًا يقضون ما أحل الله من شهوات الدنيا وإنما التخصيص من الوحي، ثم قال: وهذه سنة المرسلين، كما نصت عليه هذه الآية والسنة واردة بمعناها. قال -ﷺ-: تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم. الحديث، وقد تقدم في آل عمران وقال: من تزوج فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الثاني. انتهى.

وفي الصحيحين: عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -ﷺ- يسألون عن عبادة النبي -ﷺ-، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحنُ من النبي -ﷺ؟ وقد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلّي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسولُ الله -ﷺ- إليهم فقال: «أنتم قلتم كذا وكذا، أما والله، إنّي لأَخْشاكم لله، وأتقاكم له، لكنّي أصُومُ وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوجُ النساء، فمَن رغبَ عن سُنّتي فليس مني».

ترك الزواج مخالف للفطرة

كما أن ترك الزواج مخالف للفطرة التي فطر الله الخلق عليها، فقد خلق الله الإنسان ذكرا وأنثى كما قال -تعالى-: {فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} (القيامة: ٣٩). وجعل -سبحانه- ميلا وشهوة بين الجنسين لحكمة بالغة، هي حفظ النسل، وبقاء النوع البشري، كما سنَّ الزواج طريقا نظيفا لإشباع هذا الميل، وقضاء هذه الشهوة، فالعُزوف عن الزواج مناقض لهذه الفطرة التي خَلق الله عليها البشر ومخالف لسنة المرسلين، ومفض للوقوع في ما حرم الله عز وجل، وقد قال النبي -ﷺ-: «من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة: ما بين لحييه وما بين رجليه». أخرجه مالك في الموطأ وغيره.

حديث الباب

أما حديث الباب: فرواه مسلم في كتاب النكاح (١٠١٨/٢) وبوب عليه النووي: باب: استحباب النّكاح لمن تاقت إليه نفسه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، والحديث رواه البخاري (٥٠٦٥) في كتاب النكاح، باب: قول النبي -ﷺ-: «من استطاع الباءة فليتزوج». وأيضا في (٥٠٦٦) باب: منْ لم يَستطع الباءة فليصم، وعَلْقمةُ بنُ قَيسٍ النَّخَعيُّ النخعي الكوفي، فقيه الكوفة وعالمها ومُقرئها، أدرك

الزواج ليس مجرد عقد أو قضاء شهوة في حِلّها وإنما هو مسؤولية وتكليف

زمن النَّبي -ﷺ- ولم يره، وصفه الذهبي بأنّه: «الإمام الحافظ المجوّد المُجتهد الكبير».

ويخبر علقمة أنَّه كان مع الصَّحابيِّ عبْدِ اللهِ بن مَسعود -رضي الله عنه- وهما يَمْشيانِ بمِنًى، ومِنًى: وادٍ قُربَ الحَرَم المكِّيِّ، يَنزِلُه الحُجَّاجُ ليَبيتوا فيه يومَ التَّرويةِ، وأيَّامَ التَّشريقِ، ويَرْموا فيه الجِمارَ.

قوله: «فلَقِيَه عُثمانُ بنُ عفَّانَ -رضي الله عنه-» يعني لقي ابن مسعود -رضي الله عنه-، فقال عُثمانُ -رضي الله عنه- له: «يا أبَا عبدِ الرَّحْمَنِ» وهي كُنيةُ عبْدِ الله بن مَسعود -رضي الله عنه-، وفي رواية البخاري: «إنَّ لي إلَيْكَ حَاجَةً، فَخَلَيا»، أي: أريدُ أنْ أتكلَّمَ معك على انفراد، فابْتَعَدا معًا في مَوضعٍ ليس معهما أحد.

قوله: «ألَا نُزَوِّجُكَ جارِيَةً شابَّةً؟»

قوله: «ألَا نُزَوِّجُكَ جَارِيَةً شَابَّةً، لَعَلَّهَا تُذَكِّرُكَ بَعْضَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِكَ؟» أي: عرَضَ عُثمانُ -رضي الله عنه- على ابنِ مَسعودٍ -رضي الله عنه- أنْ يُزوِّجَه بِكرًا، وهي المرأةُ التي لم يَسبِقْ لها الزَّواجُ، وعلَّلَ ذلك بقولِه: «تُذكِّرُكَ ما كُنتَ تَعْهَدُ» يُريدُ ما كان مِن قُوَّتِه ونَشاطِه، قيل: إنَّما عرَضَ عليه عُثمانُ -رضي الله عنه- ذلك؛ لمَا رأى ما به من تَقشُّفٍ ورَثاثةٍ في الهَيئةِ، فحَمَلَ ذلك على فَقْدِه الزَّوجةَ التي تُرفِّهُه.

وفي رواية البخاري: «فلمَّا رأى عبدُ الله -رضي الله عنه- أنْ ليس له حاجةٌ إلى هذا أشار إليّ، فقال: يا علقمة، أي: لمَّا رأى عبدُ الله -رضي الله عنه- أنّ ليس له حاجةٌ في الزَّواجِ، أو أنَّه -رضي الله عنه- لمَّا رأى أنَّ الكلامَ الذي بيْنهما قد انْتهى، وأنَّ عُثمانَ -رضي الله عنه- لم يكُنْ له حاجةٌ إلَّا كلامَه عن تَزويجِه، ولم يَبْقَ هناك حَديثٌ يكونُ سِرًّا بيْنهما، دَعا عَلْقمةَ ليَجلِسَ معهما، فجاء عَلْقمةُ ووَقَفَ عندَه.

قوله: «فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ؛ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ» أي: روى عبْدُ اللهِ -رضي الله عنه- في كلامِه مع عُثمانَ -رضي الله عنه-، حَديثَ رَسولِ اللهِ -ﷺ- وهو مُناسبٌ لتَذكيرِ عُثمانَ وعَرْضِه الزَّواجَ على عبْدِ الله.

والباءة هي مؤن النكاح، فأراد الشارع أن يبين هذا الأصل، وهو أن الزواج ليس مجرد عقد أو قضاء شهوة في حِلّها، وإنما هو مسؤولية وتكليف، وقوامة للرجال على النساء، بالقيام بما تحتاجه المرأة من النفقات والإصلاح.

حَثُّ الشَّباب بتعجيل الزَّواج

وفي الحديث: أنَّ رَسولَ اللهِ -ﷺ- حَثَّ الشَّبابَ وأمَرهم بتَعجيلِ الزَّواجِ؛ حيثُ قال مُناديًا الشَّبابَ ومُخصِّصًا إيَّاهم بالمُخاطَبةِ، لأنَّ الغالبَ قُوَّةُ الشَّهوةِ في الشَّبابِ، وهمْ مَظِنَّةُ الحاجة الشديدة إلى النِّساءِ، ولا يَنفكُّون عنها غالبًا، بخِلافِ غيرِهم من كِبارِ السِّنِّ: «مَن استطاعَ منكمُ الباءَةَ، فليتزوَّجْ»، والباءةُ: المُرادُ بها مُؤَنُ النِّكاحِ، أو اسمٌ من أسْماءِ الوَطءِ، أي: مَن استَطاعَ منكم الزَّواجَ، وقدر عليه، ووجَدَ كُلفتَه ومُؤنتَه فلْيتزوَّجْ؛ فلا رَهْبانيَّةَ في الإسلام، ويجوز تزويج المعسر والفقير إذا رضيت به المرأة، فقد بوّب الإمام البخاري رحمه الله للحديث بقوله: « بَابُ تَزْوِيجِ المُعْسِرِ؛ لقَوْلِهِ -تعالى-: {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، قال الحافظ -رحمه الله-: « قَوْلُهُ: لقوله -تعالى-: {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّه مِنْ فَضْله} هُوَ تَعْلِيل لحُكْم التَّرْجَمَة، وَمُحَصَّله أَنَّ الْفَقْر فِي الْحَال لَا يَمْنَع التَّزْوِيج؛ لِاحْتِمَالِ حُصُول الْمَال فِي الْمَآل» انتهى، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «رغَّبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى، فقال: {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، وعن ابن مسعود قال: «التمسوا الغنى في النكاح».(تفسير ابن كثير).

ترك الزواج مخالف للفطرة التي فطر الله الخلق عليها فقد خلق الله الإنسان ذكرا وأنثى

وبحسن التوكل على الله -تعالى-، والرغبة في العفاف، وطلب ما عند الله من الفضل، يرجى لمثل هذا الناكح أن يعينه الله، ويرزقه من فضله، كما روى الترمذي (١٦٥٥) وحسنه: عن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ». وحسنه الألباني في (صحيح الترمذي).

قوله: «فإنَّه أغضُّ للبَصَر، وأحْصَنُ للفَرْج»

وقوله: «فإنَّه أغَضُّ للبَصَرِ، وأحْصَنُ للفَرْجِ»، علَّل -ﷺ- أمره الشباب بالزواج؛ بأنَّ التزوُّجَ أشَدُّ عَونًا للمَرءِ على غَضِّ البَصَرِ، وأدفَعُ لعَينِ المتزَوِّجِ عن الحرامِ، وأشَدُّ إحصانًا للفَرْجِ، بالبُعدِ عن الزنا، ولمَّا عَلِمَ -ﷺ- أنَّه ليسَ كُلُّ شابٍّ يَملِكُ ما يَقدِرُ به على الزَّواجِ، ذَكَرَ لأُمَّتِه علاجَ ذلك، فقال: «ومَن لم يَستطِعْ فعليه بالصَّوم؛ فإنَّه له وِجاءٌ»، يعني: أنَّ مَن لم تكُنْ عندَه مُؤنةُ الزَّواجِ، فلْيَلزَم الصَّومَ، ويُكثر منه، فإنَّه مانِعٌ من الشَّهَوات، ومُفتِّرٌ لها، وقاطِعٌ لشَرِّها، كما يَفعَلُ الوِجاءُ، وهو رَضُّ الخُصْيتَينِ بحَجرٍ ونَحوِه لقَطعِ شَهوةِ الذَّكَرِ، وسُمِّيَ الصَّومُ وِجاءً؛ لأنَّه يَفعَلُ فِعْلَه ويَقومُ مَقامَه في كَسرِ الشَّهوةِ، ومَن اعتادَ الصَّومَ سَكَنَتْ شَهوتُه؛ فشَهوةُ النِّكاحِ تابعةٌ لشَهوةِ الأكْلِ؛ فإنَّه يَقْوى بقوَّتِها، ويَضعُفُ بضَعفِها.

فوائد الحديث

وفي الحَديثِ فوائد منها:

- عرْضُ الصَّاحِبِ النِّكاحَ على صاحبِه، والإسرارُ بمثلِه، وما كان عليه الصَّحابةُ -رضي الله عنهم- من الحُبِّ والتراحُم فيما بيْنَهم.
- وفيه: الحث على نكاح الشَّابَّة؛ فإنَّها أكثر امتاعًا لزوجها، وأحسنُ عِشرةً، وأجملُ مَنظرًا، وأقربُ إلى أنْ يُعوِّدَها زَوجُها الأخلاقَ الحَسَنةَ.
- وفيه: مَشروعيَّةُ مُعالَجةِ الشَّهوةِ بما يُسكِّنُها لا بما يَقطَعُها.
- وفيه: فضلُ صَومِ التطوع.



للتعليم قواعد ومناهج ومراتب يراعيها المعلم الحكيم

د. وليد خالد الربيع

تقدم ذكر بعض المسائل المستفادة من قوله -تعالى-: {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} (سورة الكهف:٧١)، فقال له الخضر مذكرا بما تقدم من الشرط: {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} (سورة الكهف: ٧٢) قال ابن كثير: «يعني وهذا الصنيع فعلته قصدًا، وهو من الأمور التي اشترطت معك ألا تنكر عليّ فيها، لأنك لم تحط بها خبرًا، ولها داخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت».

فللتعليم قواعد ومناهج ومراتب يراعيها المعلم الحكيم تحقيقا لمصلحة المتعلم، فقد يظن المتعلم أن مصلحته في طريقة ما أو دراسة باب معين يتحمس له، في حين يرى المعلم أن المتعلم لم يستعد ذهنه لتلك المرتبة من العلم، أو أن تعلم هذا الباب يوقعه في إشكالات لا يستطيع فهمها، فيصرفه عنه أو ينهاه عن طروقه في بداية طلبه، وهذا ما نلمسه من شرط الخضر على موسى عليهما السلام قال الشيخ ابن سعدي: «إن المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصرا، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالا، لا يتعلق في موضع البحث».

أهمية الصبر

وهذا يؤكد أهمية الصبر للوصول إلى المقاصد، وأخص ذلك بلوغ العلم فلا يحصل العلم بغير صبر، قال الشيخ ابن سعدي مبينًا فوائد الآيات: «أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه.

سبب حصول الصبر

ومنها: أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علما وخبرة، بذلك الأمر، الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدريه، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} فجعل الموجب لعدم صبره، وعدم إحاطته خبرا بالأمر».

عدم الاستعجال بالحكم على الأشياء

ومن فوائد الآية الكريمة عدم الاستعجال بالحكم على الأشياء بمجرد الظاهر، ولابد من الاستعلام عن التفاصيل، فقد يظهر من خفايا الأمور ما يغير الحكم على الأشياء، قال الشيخ ابن سعدي: «الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء، حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود»، فقال موسى عليه السلام معتذرا: {قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} (٧٣)، قال ابن كثير: «أي: لا تضيق عليّ وتشدد عليّ؛ ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «كانت الأولى من موسى نسيانا». أخرجه البخاري.

إذا تزاحمت المصالح أو المفاسد فعلى المكلف أن يقدم أعلى المصلحتين ويدفع أعظم المفسدتين

للصبر أهمية للوصول إلى المقاصد ومنها بلوغ العلم فلا يحصل العلم بغير صبر

النسيان من الأعذار التي ترفع الإثم عند ارتكاب بعض الأفعال

النسيان من الأعذار التي ترفع الإثم

يستفاد من هذه الآية الكريمة أن النسيان من الأعذار التي ترفع الإثم عند ارتكاب بعض الأفعال كمن ترك صلاة نسيانا أو أكل في نهار رمضان ناسيا ونحو ذلك، وهذا يشمل التفريط في حق بعض الناس، قال الشيخ ابن سعدي: «ومنها: أن الناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله، ولا في حقوق العباد لقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾».

قبول الاعتذار من المخطئ

ومن فوائد الآية قبول الاعتذار من المخطئ والمقصر، فقد قبل الخضر اعتذار موسى عليهما السلام، قال عمر رضي الله عنه: «أعقل الناس أعذرهم للناس»، وهذا مما حث عليه الشرع المطهر قال -تعالى-: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ (سورة التغابن:١٤) وقال رسول الله -ﷺ- قال: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود» أخرجه أبو داود وصححه الألباني، والمراد بذوي الهيئات: أصحاب المروءات والخصال الحميدة، ومعنى أقيلوا: أي :اعفوا، والعثرات: الزلات.

جلب المصالح ودرء المفاسد

وقد جاء توضيح تصرف الخضر آخر القصة في قوله -تعالى-: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (٧٩)، ويؤيد هذا حديث البخاري عن ابن عباس مرفوعا قال: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ ﴿مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، فَأَرَدْتُ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِهِ أَنْ يَدَعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا»، فهذه الآية دليل من أدلة القاعدة الكلية في جلب المصالح ودرء المفاسد، وتقديم أعظمهما ودفع أدناهما عند التزاحم وعدم إمكان إعمالهما جميعا، فنزع لوح من السفينة يجعلها معيبة وهي مفسدة، وأخذ السفينة ظلما مفسدة أكبر، فرأى الخضر أن بقاء السفينة معيبة بيد أصحابها أولى من كونها سليمة بيد الملك غصبا وظلما، فكان درء المفسدة الأعظم أولى ولو ارتكب المفسدة الأدنى.

ويقاس على هذه الحالة أمثالها فيما لو تعارضت المفاسد وتعذر درؤها جميعا، قال القرطبي: «في خرق السفينة دليل على أن للولي أن ينقص مال اليتيم إذا رآه صلاحا، مثل أن يخاف على ريعه ظالما فيخرب بعضه، وقال أبو يوسف: يجوز للولي أن يصانع السلطان ببعض مال اليتيم عن البعض».

عمل الإنسان في مال غيره

وقال الشيخ ابن سعدي: «عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير، كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم. فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار، فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع له ذلك، حفظا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن».

تزاحم المصالح والمفاسد

فإذا تزاحمت المصالح ولم يمكن تحصيلها جميعا، أو تزاحمت المفاسد ولم يمكن دفعها جميعا فعلى المكلف أن يقدم أعلى المصلحتين ويدفع أعظم المفسدتين، قال شيخ الإسلام: «المؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة كما يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة، فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة والتي يراد إيقاعها في الكتاب والسنة ليقدم ما هو أكثر خيرا وأقل شرا على ما هو دونه، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما، ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما، فإن من لم يعرف الواقع في الخلق والواجب في الشرع لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح».



الإمام عبد العزيز ابن باز -رحمه الله

وجهوده في جمع الكلمة وإجلال ولاة الأمر له

مركز سلف للبحوث والدراسات

جمعُ الناس على عبادة الله وحده وجمعُ كلمة المسلمين من أهمِّ تكاليف النبوة، قال البغوي: بعث الله الأنبياء كلَّهم بإقامة الدين والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة، وقد تعاقب العلماء ورثة الأنبياء وتناوبوا جيلًا بعد جيل للقيام بهذه الأمانة العظيمة، التي لولا رحمة الله بهذه الأمة ثم قيام العلماء الربانيين بدورهم لعاشت أمة الإسلام متناحرة متنازعة لم تقم لها قائمة، ولم يُكتب لها التوسع والانتشار.

وسنتناول في هذه الورقة سيرة أحد العلماء المعاصرين الكبار، ممن كان لهم دور كبير في جمع كلمة المسلمين؛ مما يبعث الهمة للاقتداء، وتستجلى في مواقفه الواقعية والثبات وحسن التصرف، وسنتناول جانبًا من جوانب سيرة الإمام سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، ونبرز مواقف ولاة الأمر معه وإجلالهم له، سائلين المولى -عز وجل- أن يصلح أحوال المسلمين، ويوحد صفهم، ويجمع كلمتهم.

أولا: نشأته ومسيرته العلمية

ولد الشيخ ابن باز في الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وكان بصيرًا في أول طلبه للعلم، ثم أصابه المرض في عينه عام ١٣٤٦هـ فضعف بصره بسبب ذلك، ثم ذهب بالكلية في مستهل المحرم من عام ١٣٥٠هـ، ونشأ سماحته -رحمه الله- في بيئة عطرة بأنفاس العلم والهدى والصلاح، بعيدة كل البعد عن مظاهر الدنيا ومفاتنها وحضاراتها المزيفة؛ إذ الرياض كانت في ذلك الوقت بلدة علم وهدى، فيها كبار العلماء وأئمة الدين، من أئمة هذه الدعوة المباركة التي قامت على كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-؛ وأعني بها: دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى.

وقد بدأ الدراسة منذ الصغر، فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، ثم بدأ في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض، وقد كان من أكثر العلماء ملازمة لهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ؛ حيث قرأ عليه في الحديث والعقيدة والفقه والنحو والفرائض، وشيئًا كثيرًا في التفسير والتاريخ والسيرة النبوية، نحوًا من عشر سنوات، وتلقى عنه العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ؛ حيث رشّح للقضاء من قبل سماحته.

ثانيا: أثر معاصرة التحولات الكبرى في تكوين شخصيته

عندما أعلن جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود توحيد المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١هـ كان عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- قد بلغ سن الرشد والأهلية؛ حيث كانت سنه في ذلك الوقت ٢٠ عامًا، فهو عاصر توحيد المملكة في دولة قوية تجتمع على كلمة التوحيد خلف راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، عاصر تلك الحقبة صبيًّا ويافعًا ثم رجلًا، وعندما بدأ

حياته العملية تقريبًا كانت قد أرسيت قواعد بناء هذا الكيان الكبير الذي شهد وضع لبناته الأولى.

تكوينه الفكري وبناء شخصيته

هذه الخلفية المبكرة في حياة ابن باز كان لها بكل تأكيد آثارها البالغة على تكوينه الفكري وبناء شخصيته بوجه عام؛ فقد شهد في الواقع العملي أوضاع التمزق والتشتت والتنافس وصراعات النفوذ، بين إمارات شاع فيها الفوضى والخرافات والأباطيل، وابتعد بعضها بوضوح عن أسس دين الله الحنيف، كما شهد عملية التحول الكبرى في المجتمع، من الولاء لتلك الإمارات المتصارعة إلى الولاء لشريعة الله، والتزام سلطة سياسية واحدة واحترامها، تراعي مصالح الجميع، وتسعى لخير كل أبناء هذه الأرض على السواء، وهكذا كان ابن باز قريبًا من التحولات الكبرى التي عاشها المجتمع السعودي، وأدرك الفارق بين الحالين بوضوح، ما بين التشتت والتصارع والفقر إلى حالة الاستقرار والرخاء، كان له بلا شك أثر في تكوين شخصية ابن باز، بل وشخصية كل الرواد والعلماء الذين عايشوا تلك الحقبة الاقتصادية من حياة المجتمع العربي السعودي، وشاهد الجهد الذي بذل في بناء الدولة السعودية، والمعايشة جعلتهم بالتأكيد أكثر حرصًا وتصميمًا وكفاحًا من أجل التمسك بالقيم الإسلامية الصحيحة النابعة من العقيدة الصافية، لإدراكهم أن تلك المبادئ هي التي أقامت تلك النهضة.

جهوده -رحمه الله- في جمع الكلمة

صفاته الشخصية، لعل من أعظم أسباب توفيق الله للشيخ ابن باز في جمع كلمة المسلمين ما أوتيه من محبة في قلوب أمة الإسلام في أنحاء العالم بطوائفها، وما أوتي من قبول لكلمته، ولنا أن نتساءل: ما سر هذه العظمة؟ وما سر تلك المحبة التي تملكت القلوب، وتخللت مسلك الروح من الناس؟ والجواب: أن ذلك يرجع لمحض فضل الله -عز وجل-؛ حيث وهب الإمام مواهب فطرية عظيمة، وجبله على سجايا وخصال عديدة حميدة، وتلك المواهب والسجايا والخصال

من توفيق الله للشيخ ابن باز ما أوتيه من محبة في قلوب أمة الإسلام في أنحاء العالم بطوائفها

غُذِّيت بلَبان العلم والإيمان، ومزجت بإكسير الإخلاص والتقوى؛ فآتت أُكلها ضعفين. ويرجع ذلك أيضًا إلى جِدِّ الإمام وتشميره، واقتدائه بسلفه الصالح، ومن اقتدى بأولئك السَّرَاة صار للمتقين إمامًا؛ فاقتدى به من معه، ومن بعده.

بذل نفسه وماله وعلمه وراحته

وسرٌّ آخر ألا وهو: بذل الإمام نفسه ووقته وماله وعلمه وراحته في سبيل نشر الخير ونفع الناس، مبتغيًا بذلك وجه الله، لقد مات الرسم، وبقي الاسم، واتفق الودود والكنود على الفضل والعلم، وكان بيته ومكتبه ومجالسه -رحمه الله- من مظاهر جمع الكلمة، فمن التقى بالشيخ ولو قليلًا يرى العجب في صبره ورحابة صدره، وكيف جمع الله في ساحته كل أجناس العالم، إذا وصل إلى منزله وجد الجموع الغفيرة من الأجناس المتعددة ومن ذوي الحاجات المتنوعة بانتظاره؛ فهم ما بين مستفت، ومُسَلِّم، ومطلِّق، وطالب حاجة، وفقير، ومسؤول، وزائر من قريب أو بعيد، وكان يقدّم للجميع طعام الغداء على مائدته، ويجلس بينهم يتناول طعام الغداء، ويباسطهم، ويسأل عن أحوالهم، ويجيب عن أسئلتهم.

كلٌ يحصل على حاجته

فإذا رأيت هذا المشهد من كثرة الناس وكثرة حاجاتهم وتنوعها، ورأيت حال الشيخ مع

كان منهج الشيخ ابن باز رحمه الله في جمع الكلمة هو الاجتماع على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة

الهاتف، ومع من يقرؤون عليه من كُتَّابه، ورأيت كثرة القادمين والمسلِّمين أيقنت أن جموعهم لن تَنْفَض، وأن تلك الحاجات والمعاملات تحتاج إلى مدة أسبوع في الأقل؛ ليتم التخلص من بعضها، وما هي إلا مدة يسيرة، ثم تَنْفَضُّ تلك الجموع بنفوس راضية وصدور منشرحة؛ حيث يأخذ كل واحد منهم نصيبه من سماحته؛ إما بتوجيه معين، وإما بوعد صادق طيب، وإما بإجابة لسؤال، وإما باستجابة لطلب، كل ذلك وسماحته -رحمه الله- يستقبلهم بصدر رحب، وجبين وضَّاح، ونفس كريمة، لا ينهر أحدًا، ولا يكهره، مع ما يلقاه سماحته من كزازة، وسوء أدب، وكثرة إلحاح، ومقاطعة من بعض المراجعين، حتى إن الذي يحضر المجلس أول مرة ليعجب أشد العجب، ويظن أن سماحته يتكلف ما يقوم به، ولكن ذلك هو دأبه وأدبه.

وما إن ينتهي ذلك المجلس إلا وقد قام بأعمال عظيمة لا يقوم بها الجماعة من أولي القوة من الرجال، مع أن سماحته كفيف البصر، متقدّم في السن، ومع أن كلمته هي الفصل التي يتوقف عليها أمور عظيمة خاصة أو عامة، فهذا دأبه في جميع مجالسه.

منهج الشيخ في جمع كلمة المسلمين

كان منهج الشيخ ابن باز رحمه الله في جمع الكلمة هو: الاجتماع على الكتاب والسنة والسلف الصالح، ويرى أنه لا يمكن أن تجتمع الأمة إلا على هذا النهج القويم، وهو الرأي الموافق لما جاء في الكتاب والسنة، كما قال الله -عز وجل-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء: ٥٩)، وقال -عز وجل-: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} (الشورى: ١٠)، والناظر في كتابات الشيخ ومراسلاته وفتاويه يجد تأكيد الشيخ على ضرورة لزوم هذا المنهج في جمع كلمة المسلمين.

توحيد الله وطاعته واتباع سنة نبيه -ﷺ

قال سماحة الشيخ -رحمه الله-: «جمع المسلمين يكون على توحيد الله وطاعة الله واتباع سنة نبيه -ﷺ-، والشرك والبدع هو الذي فرَّق الناس، والمعاصي هي التي فرقت الناس، فطريق اجتماع الناس هو أن يتفقوا على تحكيم شريعة الله واتباع ما جاء به النبي -ﷺ-، فإن اتفقت الدول الإسلامية على اتباع الشريعة وتحكيم ما جاء به الرسول -ﷺ- والاستقامة على ذلك والتعاون في هذا ضد الكفرة، فهذا هو طريق السعادة وهذا طريق الجمع».

وقال في موطن آخر: «الطريق إلى جمع كلمة المسلمين على الحق ونبذ الخلاف والتفرق هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- والاستقامة على ذلك والتواصي بذلك والتعاون على البر والتقوى، ورد كل ما يتنازعون فيه إلى كتاب الله -سبحانه- وسنة رسول الله -ﷺ-، وتحكيمهما في كل شيء».

علاقاته مع أقرانه من العلماء

كم سمعنا وقرأنا ما يحدث بين أقران العلماء وطلبة العلم من تحاسد وتباغض وتنافر، وهم بشر قد تزل بهم قدم أو لسان أو قلم؛ ما قد يُحدث شرخًا في المجتمع الإسلامي بل قد يصل إلى حد الأذى البدني، ولا أضر على وحدة كلمة المسلمين من تناحر العلماء أو الأمراء، ولهذا كان الشيخ ابن باز -رحمه الله- حريصًا أشد الحرص على جمع كلمة العلماء، فهم القدوة، بدءًا من نفسه ثم طلبته ثم علماء عصره في الداخل والخارج، وسنأتي على جوانب من تعامله مع العلماء في سبيل جمع الكلمة.

حبه وإجلاله لأقرانه وسؤاله عنهم

لم يكن الشيخ يحسد أحدًا من العلماء وغيرهم، أو ينتقصهم، أو يذمهم، أو نحو ذلك، فقد كان رحمه الله محبًّا ومجلًا لأقرانه ومعاصريه من أهل العلم، ومتعاونًا معهم على الخير ومصلحة المسلمين، فقلّ أن يمر يوم أو أقل من يوم إلا ويأتيه الوفود تلو الوفود من أهل العلم من شتى الأماكن، فكان -رحمه الله- كثير السؤال عنهم، والاتصال بهم؛ فإذا جاءه -على

لم يكن الشيخ رحمه الله يحسد أحدًا من العلماء وغيرهم أو ينتقصهم أو يذمهم أو نحو ذلك

سبيل المثال- أحد من الأردن سأله عن الشيخ الألباني، وإذا جاء أحد من أهل المدينة سألهم عن الشيخ عبد المحسن العباد، أو الشيخ حماد الأنصاري، أو الشيخ عمر فلاته وغيرهم من أهل العلم في المدينة. وإذا قدم عليه أحد من أي بلد سأله عن أهل العلم الذين يعرفهم سماحته، أو يسأله عن أهل العلم الموجودين عندهم، وكان يبكي كثيرًا إذا توفي أحد العلماء المشهورين أو من لهم بلاء في الإسلام؛ حيث بكى على الشيخ صالح العلي الناصر، والشيخ حمود التويجري، والشيخ صالح بن غصون، وكذلك الحال بالنسبة لمن يأتون من خارج البلاد؛ حيث يسأل عن أهل العلم، ويوصي بنقل السلام إليهم، وربما حمَّل من يأتيه رسالة إليهم، وربما سألهم: من عندكم من أهل العلم؟ وما نشاطهم في العلم والدعوة؟ وكان يأخذ عناوينهم، ويراسلهم، ويوصيهم بالعناية بالدعوة إلى الله، ويقول: نحن مستعدون للتعاون معكم بما يخدم الدعوة.

حسن الظن بهم والذب عنهم

كان يحسن الظن بأهل العلم كثيرًا، ويحمل كلامهم على أحسن المحامل، ولا يرضى أن يُنالوا بأي سوء أو مكروه، وكان يدافع عنهم، ويحفظ أعراضهم، ولا يصدق ما يقال فيهم من سوء حتى يقف على حقيقة الأمر، وإذا جاءه أحد من الناس وقال: إن الشيخ فلان

امتلأت رسائله وكتاباته وفتاويه بالنصح للعلماء وطلبة العلم بأن يجمعوا الكلمة وينبذوا الخلاف

بن فلان قد قال كذا وكذا مما لا يليق، نهره سماحة الشيخ، وقال: هو أوثق عندنا منك، أفنصدّقك ونكذّب الشيخ فلانًا؟! ونحو ذلك.

وإذا تثبَّت من صحة ما يقال عن فلان من أهل العلم من أنه أخطأ في أمر ما أرسل إليه نصيحة، أو هاتفه، أو طلب حضوره، وبعد ذلك يبدي له وجه الخطأ، ويورد الأدلة على ما قال بأسلوب يفيض بالرحمة والنصح؛ فما يكون من ذلك الشخص إلا أن يقبل كلام سماحته ويدعو له.

وكثيرًا ما كان الشيخ -رحمه الله- يبذل جاهه وشفاعته وعلمه في سبيل جمع كلمة أهل العلم، ورأْب ما يكون بينهم من صدع، وتضييق ما يحصل بينهم من خلاف؛ فكم جمع الله به من كلمة، وكم رأب به صدع!.

حسن تعامله مع المخالفين

يظهر جليًا للناظر في سيرته ومواقفه أن الشيخ -رحمه الله- له منهج متميز مع المخالفين، ينطبق فيه نصوص الشرع الآمرة بالصفح، وأخذ العفو، ودفع السيئة بالحسنة ومقابلة الإساءة بالإحسان، والبعد عن كل ما ينافي العدل والإنصاف، والجدال بالتي هي أحسن.

فكان منهجه ألا يُحَمِّل كلامهم ما لا يحتمل، ولا يَتَقَوَّل عليهم ما لم يقولوه، ولا يذكرهم بسوء، بل يحترمهم ويقدرهم، ويتناسى أخطاءهم، ويقبل العذر، يُظهر الفرح بزيارته، وأظهر له المحبة والحفاوة، وإذا دعاه المخالف لوليمة أو مناسبة أجاب، ويعود مريضهم ويهاتفه ليواسيه، ويعزيهم إن مات لهم قريب، وإذا مات المخالف له دعا له، وزار أهله وعزاهم، ويتقبل العتاب ويبين موقفه. فكم وأد من عداوة، وكم استمال من قلب، وكم أطفأ من نار حقد.

وكان كثيرًا ما يقول لبعض العلماء: لا نودّ أن نختلف في أيّ مسألة، ونودّ أن تكون كلمتنا وفتوانا واحدة، ولكنه إذا خُولِف في أي مسألة اتّسع صدره كثيرًا للمخالف، وقد امتلأت رسائله وكتاباته وفتاويه بالنصح للعلماء وطلبة العلم بأن تتّسع الصدور للخلاف، وأن يجمعوا الكلمة وينبذوا الخلاف، والناظر في مجموع فتاوى الشيخ ومقالاته الذي طبع في ثلاثين مجلدًا يجد شواهد كثيرة جدًّا.

﴿هذا خلق الله﴾



د. أميــر الحــداد(*)
www.prof-alhadad.com

- من غريب تناقض أهل الكفر، أنهم كانوا يقرون أن الخالق هو الله، والرازق هو الله، والمميت هو الله، والمنجي هو الله، ومع ذلك يعبدون مع الله آلهة أخرى، ويتقربون إليها، ويعظمونها، ويقدمون لها القرابين، بل ويموتون لأجلها!

- حقا إنه منطق غريب، بل ليس من المنطق في شيء، ولكنه اتباع دين الآباء والأجداد، والالتزام بالتعاليم والإرث الاجتماعي.

لذلك يذكرهم الله -عز وجل- ويلفت انتباههم إلى هذه الحقيقة في آيات عدة من كتابه، آيات فيها تحدٍ، وإعجاز.

كنت وصاحبي نمشي رياضة بعد أن صلينا المغرب .

- ولو أن أحدهم صدق النية وتفكر بتجرد لما وسعه إلا أن يؤمن بالله وحده ولا سيما وهو يسمع قول الله -تعالى-: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (لقمان:١٠-١١)، وقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:١٧)، وقوله -تعالى-: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد:١٦).

وغيرها من الآيات التي تحمل المعنى ذاته.

- صدقت، وذلك أنهم كانوا يفهمون أساليب القرآن البلاغية فقد نزل بلغتهم التي يتحدثون بها، وكانوا أهل فصاحة وبلاغة، ولكن استكبارهم وعنادهم حجب عنهم رؤية الحق، ومنعهم من اتباع الهدى.

معنى الآية: من كان قادرا على خلق الأشياء المتقدمة الذكر كان بالعبادة أحق ممن هو مخلوق لا يضر ولا ينفع، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ (لقمان:١١).

فيتعين أن يكون (فأروني) تهكما؛ لأنهم لا يمكن لهم أن ينفذوا هذا الأمر، زيادة على كون الأمر مستعملا في التعجيز، وصوغ أمر التعجيز من مادة الرؤية البصرية أشد في التعجيز لاقتضائها الاقتناع منهم بأن يحضروا شيئا يدعون أن آلهتهم خلقته.

و(بل) للانتقال من غرض المجادلة إلى غرض تسجيل ضلالهم، أي في اعتقادهم إلهية الأصنام، كما يقال في المناظرة: دع عنك هذا وانتقل إلى كذا.

﴿بل الظالمون في ضلال﴾ فقرر ظلمهم أولا، وضلالهم ثانيا، ووصف ضلالهم بالوضوح والظهور، ومن كان هكذا فلا يعقل الحجة، ولا يهتدي إلى الحق.

- آيات بينات ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، وهناك أيات كثيرة في المعنى ذاته، إليك اثنين منها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (فاطر:٤٠).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأحقاف:٤).

ردد كل منا: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، اللهم ارفع عنا البلاء والوباء وعن جميع المسلمين، عاجلا غير آجل يا رب العالمين.

تابعنا سيرنا وحديثنا .

- وفي تفسير هذه الآيات كلام جميل.

(*) أستاذ في جامعة الكويت

العبادة في زمن الفتن

الشيخ عبد الكريم الخضير (١)

في محاضرة قيمة له تحدث فيها الشيخ عبدالكريم بن عبدالله الخضير عن العبادة في زمن الفتن؛ حيث بين أن الأمة تعيش حالة من الاضطراب عموما، وهذا أثر على بعض من طلبة العلم، فكثير منهم ضاقت بهم الأرض ذرعًا، وظنوا أن الخير قد انقطع، والأمر على خلاف ذلك، وديننا -والله الحمد- دين الخلود والبقاء إلى قيام الساعة، وأبواب الخير مفتوحة ومشرعة، وسنة المدافعة باقية إلى قيام الساعة، وما يغلق باب في وجه مسلم إلا ويفتح الله له أبوابا وآفاقا من أعمال الخير التي توصله إلى مرضات الله -سبحانه وتعالى.

ثم بين الشيخ الخضير أن الفتن التي تعيشها الأمة وتوشك أن تكون فتنا كقطع الليل المظلم، أخبر بها النبي -ﷺ- في الحديث المخرج في البخاري وغيره قال -ﷺ-: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»، وقال -ﷺ- في الحديث المخرج في السنن والمسند: «إنَّ مِن ورائِكُم أيامَ الصبرِ الصبرُ فيهنَّ كَقَبْضٍ علَى الجمْرِ للْعامِلِ فيهَا أَجْرُ خَمْسِينَ قالوا يا رسولَ اللهِ أَجْرُ خمسينَ منهم أَوْ خمسينَ منَّا قال خمسينَ مِنْكُمْ»، وهذه مع كونها تخبر عن واقع مرير إلا أنها تشرح صدر المسلم للعمل والمدافعة أجر خمسين من الصحابة في آخر الزمان عند فساد الناس، أجر خمسين من الصحابة هذا ليس بالسهل ولا بالهين

العبادة هي الهدف

العبادة هي الهدف من خلق الجن والإنس، يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: (إلا ليعبدون) أي: ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً، وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جريج: إلا ليعرفون، وقال الربيع بن أنس: ﴿إلا ليعبدون﴾ أي: إلا للعبادة.

المراد بالعبادة

والمراد بالعبادة -كما قال شيخ الإسلام-: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»، فتشمل أبواب الدين جميعها، فالإنسان يتعبد إلى الله -جل وعلا- بتوحيده، والإخلاص له، ويتعبد له بالإيمان به بشروطه، يتعبد الله -جل وعلا- بالصلاة، فرضها ونفلها، يتعبد للمولى -جل وعلا- بالزكاة، والصدقات، يتعبد له بالصيام الذي هو سر بين العبد وبين ربه، ويتعبد الله -جل وعلا- بزيارة بيته الحرام، وبالجهاد في سبيله وإعلاء كلمته، ويتعبد له في المعاملات وإن كانت من أجل الكسب الذي ظاهره المادة المحضة، إلا أنه في الوقت نفسه بإمكان المسلم أن يجعله عبادة الله -جل وعلا-، إذا نوى به أن يتقوى به على ما يقربه إلى الله -جل وعلا- يتعبد إلى الله ويتقرب إليه بتناول الملذات والشهوات كالنكاح الذي شرعه الله -جل وعلا- وأخبر أنه يؤجر عليه، «أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟!» قال: «نعم، أرأيتم لو وضعها في حرام أيكون عليه وزر؟» قالوا: نعم، فيأتي شهوته ويكون له أجر، هذا من فضل الله -جل وعلا-. يتعبد الله -جل وعلا- بأبواب الدين جميعها، فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله -جل وعلا- ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

تنوع العبادات من محاسن الدين

وتنوع هذه العبادات من محاسن هذا الدين، فتجد بعض الناس يسهل عليه التقرب إلى الله -جل وعلا- بمائة ركعة بمائتين ركعة بثلاثمائة ركعة في اليوم الواحد، وهذا مأثور عن بعض من تقدم من السلف، لكن يشق عليه أن يتصدق بدرهم، فتح له هذا الباب ليلزمه، ومع ذلك يجاهد نفسه في الأبواب الأخرى، وبعض الناس مستعد أن يتصدق أن يتخلص من نصف ماله ولا يستطيع ولا تطاوعه نفسه أن يصلي ركعتين،

ومن الناس من ديدنه قراءة القرآن وتشق عليه سجدة التلاوة؛ لأن الصلاة شاقة عليه، هذا تنوع للعبادات، وكل باب من هذه الأبواب فيه رضى الله -جل وعلا- ومع ذلك يلزم هذا الباب الذي يسر له ولا يهمل الأبواب الأخرى، يجاهد نفسه على أن يأطرها على محبة هذه الأبواب الأخرى، يكفيه أنها ترضي االله -جل وعلا- وأنها ترفعه عند المولى -سبحانه وتعالى-، ترتب عليها الثواب.

الصلاة.. أهم العبادات

فمن أهم العبادات الصلاة، فالإنسان عليه أن يكثر منها فالصلاة خير مستكثر منه، والنبي -ﷺ- لما سأله الصحابة مرافقته في الجنة، قال: «أعني على نفسك بكثرة السجود» الكثرة هذه مطلوبة على أن الكمية ليست هدفا لذاتها، بل لا بد من الكيفية «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ليس معنى هذا أن الإنسان يصلي في الساعة بعدد دقائقها من الركعات، ويغفل عن الكيفية، بل لابد من أن يجمع بين كثرة السجود وبين الكيفية المأثورة عن النبي -ﷺ- وقل مثل هذا في سائر العبادات، يقرأ القرآن ويكون ديدنه قراءة القرآن، لكن على الوجه المأمور به من الترتيل والتدبر، ليزداد بذلك من الهدى واليقين والطمأنينة وشرح الصدر وزيادة الإيمان، فعلى الإنسان أن يلزم هذه العبادات.

مفهوم الفتن

الفتن جمع فتنة، يقول الراغب: أصل الفَتْن إدخال الذهب في النار، لتظهر جودته من رداءته، ويستعمل في إدخال الإنسان النار، ويطلق على العذاب، يستعمل في إدخال الإنسان النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (البروج: ١٠)، بأن أدخلوهم في النار، هذه فتنة، ويطلق على العذاب، كقوله -جل وعلا-: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ (الذاريات: ١٤)، وعلى ما يحصل عند العذاب، كقوله -جل وعلا-: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة:٤٩)، وعلى الاختبار، كقوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ (طـه:٤٠)، وفيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وفي الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، قال -جل وعلا-: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء:٣٥)، ومنه قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ (الإسراء:٧٣)، أي يوقعونك بلية وشدة في صرفك عن العمل بما أوحي إليك. وقال أيضاً: الفتنة تكون من الأفعال الصادرة من االله -جل وعلا- ومن العبد كالبلية والمصيبة، والقتل والعذاب والمعصية وغيرها من المكروهات.

فالإنسان قد يكون مُوجدًا للفتنة بنفسه، يفتتن بها ويفتن بها غيره، كما أنها قد تكون من االله -جل وعلا- فإن كانت من االله فهي على وجه الحكمة، وإن كانت من الإنسان بغير أمر االله فهي مذمومة، فقد ذم االله -جل وعلا- الإنسان بإيقاع الفتنة كما في قوله -جل وعلا-: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة:١٩١)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (البروج:١٠)، وقوله: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ (الصافات:١٦٢)، وقوله: ﴿بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ (القلم:٦)، وكقوله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ (المائدة:٤٩). وقال غيره: أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى مكروه، ثم أطلقت على كل مكروه، أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريض والفضيحة والفجور وغير ذلك.

الفتنة تطلق على أمور كثيرة منها الشرك الذي هو أعظم من القتل وفتنة الرجل في أهله وماله وجاره

أمور متفاوتة

الفتنة لا شك تطلق على أمور متفاوتة، فمنها الشرك الذي هو في الحقيقة أعظم من القتل وأشد من القتل، إلى أن تصل إلى فتنة الرجل في أهله وماله وجاره، والنبي -ﷺ- كما في الحديث المتفق عليه- قال في الخميصة: «كادت أن تفتنني عن صلاتي» والمراد بالفتنة هنا: الانشغال بها، وكذلك الفتنة في المال والولد الانشغال بهم عما هو أهم، كل هذا فتنة.

الاستعاذة من الفتنة

وبعض الناس يعتب على من يستعيذ بالله من الفتن، يقول معناه: إنك تستعيذ بالله من أهلك ومالك وولدك، يقول: لا تستعذ بالله من الفتن، معناه أنك تريد أن تتجرد من هذه الأمور، لكن الفتن إذا أطلقت واستعيذ بالله منها، فالمراد بها ما يضر في الدين، أما الفتن التي لا تضر فهي أمرها يسير، بل طلبها الشارع كفتنة المال والولد، االله -جل وعلا- يقول بالنسبة للمال: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧)، فهو مطلوب أصلا لإقامة العبودية، لإقامة الهدف الذي من أجله خلقنا، وأيضاً أمرنا بالتكاثر والتناسل، وأمر النبي -ﷺ- بذلك «فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة» مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، فنحن مأمورون بكسب المال من وجهه، لكن لا يكون هدفاً. لا يكون هدفاً في هذه الحياة بحيث يكون محياه ومماته لهذا المال، يضحي بكل شيء من أجل المال، كما رأينا وسمعنا في هذه السنين المتأخرة بعدما فتحت علينا الدنيا.

تحقيق هدف العبودية

المقصود أن هذه الفتنة أعني فتنة المال وإن كان أصلها مطلوباً﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧)، إنما طلب لتحقيق الهدف الذي من أجله خلق وهو العبودية الله -جل وعلا-؛ إذ لا تقوم الحياة إلا بالمال، وأيضاً طلب الولد، لبقاء النوع والجنس الإنساني ليعبد الرب -جل وعلا- إلى قيام الساعة، ولو أن كل واحد من المسلمين عزف عن الزواج خشية أن يبتلى بالأولاد ويبتلى بالأهل لخالف سنة النبي -ﷺ- سنن المرسلين.

كيف نتقي هذه الفتنة؟

ثم بين الشيخ الفتنة التي يجب أن يتقيها الإنسان ويستعيذ منها، التي جاءت في قول االله -جل وعلا-: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال:٢٥). يقول القرطبي: قال ابن عباس -رضي االله عنهما-: أمر االله ألا يقروا المنكر بين أظهرهم؛ فيعمهم العذاب؛ لأن االله -جل وعلا- يقول: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال:٢٥)، والسؤال كيف نتقي هذه الفتنة؟ هذا ما سنجيب عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله.

الفهم الصحيح لمنهج السلف

الشيخ: عبدالرزاق عبد المحسن البدر (1)

في محاضرة قيمة له عن الفهم الصحيح لمنهج السلف بين الشيخ عبد الرزاق عبد المحسن البدر أنه ينبغي لكل مسلم يريد سعادة نفسه وفوزها وفلاحها وسعادتها في الدُّنيا والآخرة، أن يهتمَّ بفهم منهج السلف الفهم الصَّحيح، وأن يُعنى بذلك غاية العناية؛ لأنّ الأمر والعبرة ليس بمجرَّد الدعوى، فمن يدَّعي الإسلام ولا يُقيمه لا قيمة لدعواه، ومن يدَّعي السُّنَّة ولا يقيمها لا قيمة لدعواه، وإنَّما العبرة بالحقائق والأعمال، ليست العبرة بالدَّعاوى، كما جاء عن الحسن البصريِّ -رحمه الله- قال: «ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكنّ الإيمان ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال»، والله -عز وجل- يقول: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} (النساء:١٢٣)، ويقول: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} (آل عمران:٣١)، فالعبرة هي بالاتِّباع والاقتداء والعمل بطاعة الله -جلَّ وعلا- والتَّقرُّب إليه بما يحبه ويرضاه من صالح الأقوال والأعمال، وليست العبرة بالدَّعاوى.

وأكد الشيخ البدر أنه ينبغي أن نفهم أنَّ السَّلفية أو السَّلف أو الدعوة السَّلفية أو نحو ذلك ليست دعوى يدَّعيها المرء لنفسه أو لطائفته أو لجماعته أو لفئة من النَّاس، وإنَّما هي منهج وطريقة وهدًى مستقيم، يوصل إلى رضوان الله -تبارك وتعالى-، طريقةٌ صحيحةٌ هي أصحُّ الطرائق وأسلمها وأعلمها وأحكمها، طريقة رسول الله -ﷺ- وأصحابه الكرام والتَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

تعريف السلف والسلفية

ولهذا عندما يعرف المسلم السَّلف أو السَّلفية أو الدَّعوة السَّلفية ينبغي أن يعرفها المعرفة الصَّحيحة السَّليمة البعيدة عن التَّيَّارات الجارفة، والفتن الكثيرة المطغية الملهية المبعدة عن طاعة الرَّب -تبارك وتعالى-، فينتسب إلى السَّلفية أو إلى السَّلف قولًا وعملًا واعتقادًا، ظاهرًا وباطنًا، سرًّا وعلنًا، ينتسب إليهم بهذه الطَّريقة، يأتسي بهم، يعرف سيرتهم، يعتقد عقيدتهم، يتَّبع آثارهم، يقتفي ما هم عليه، يستن بسنَّتهم، والمرء كما أخبر النَّبيُّ -ﷺ- مع من أحب، كما يقول شيخ الإسلام: «من كان بهم أشبه كان إليهم أقرب» أي السَّلف الصالح، ولهذا لابدَّ من فهم منهج السَّلف، والعلم بمعنى أو مفهوم السَّلفية، ومعرفة أماراتها، وسماتها وعلاماتها، يترسَّم طريقها، ثم يسلك هذا الطَّريق؛ فيكون من أهل السُّنة ومن السَّلف إذا قام بهذا الأمر، فليست العبرة بالدعوى، لابد من العلم النَّافع المؤدِّي للعمل الصَّالح المقرِّب إلى الله -تبارك وتعالى.

بين السلف والخلف

ثم انتقل الشيخ إلى الحديث عن الفرق بين السلف والخلف فقال: عندنا هنا أمران: سلفيّة أو سلف، ويقابلها ويضادّها خَلَفِيّةٌ أو خَلَف؛ سلفٌ وخلف، هذان الاسمان ينبغي على المسلم أن يتعرَّف إليهما ويعرف معنى كلٍ منهما «السَلَف، والخَلَف». مَن السَلف ومن الحقيق بهذا الاسم؟ ومَن الخَلَف ومن الحقيق بهذا الاسم؟

لعلِّي أنطلق في توضيح ضابط كلٍّ منهما أو بيانه من خلال حديث عظيم يرويه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، وهو حديث عظيم جدًا ينبغي لنا أن نتدبَّره، قال ابن مسعود: قال رسول الله -ﷺ-: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»، هذا حديث عظيم جدًا، ومن خلاله نستطيع أن نستوضح ونتبيَّن مَن السَّلف ومَن الخَلَف.

لابد للمسلم من العلم النَّافع المؤدِّي للعمل الصَّالح المقرِّب إلى الله تبارك وتعالى

ضابط لتعريف السَّلف أو السَّلفيّ

فقوله: «إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ»؛ أنا أعتقد أنَّ هذا أحسن ضابط لتعريف السَّلف أو السَّلفيّ، مَن كان كذلك فهو السَّلفيّ أو الذي على الدَّعوة السَّلفية وعلى المنهج السَّلفي، وأهل العلم قالوا في تعريف السَّلفيِّ: بأنَّه مَن كان على مثل ما كان عليه النَّبيُّ -ﷺ- وأصحابه؛ كما ثبت في حديث الافتراق ولعله يأتي معنا نص الحديث، بماذا وصفهم -ﷺ- في حديثنا هذا؟ قال: «يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ»، هاتان صفتان رئيستان لكلِّ سلفيٍّ ولكلِّ منتمٍ للسَّلف؛ يأخذ بسنَّة النَّبيِّ -ﷺ- ويقتدي بأمر النَّبيِّ -ﷺ-، صفتان

عظيمتان جدًا لكلِّ سلفيٍّ، وهما أهم الصِّفات: الأوَّل: الأخذ بالسُّنَّة، والثَّاني: الاقتداء بالأمر.

أولاً: «الأخذ بالسُّنة»

بين الشيخ البدر هذه الصفة بأن فيها إشارة إلى سلامة مصدر التَّلقي عند السَّلفيّ أو المتّبع للسَّلف، منهجه في التَّلقي هو الأخذ بالسُّنة؛ يُنحِّي الآراء، يُنحِّي الأهواء، يُنحِّي الأذواق، يُنحِّي جميع المصادر التي هي مصادر للتَّلقي عند أهل البدع، وهي متنوعة وكثيرة جدًّا، فهو مصدره في التَّلقي الأخذ بالسُّنة، بينما عندما تنظر وتتأمل في الطَّوائف والفرق المختلفة تجد مصادرهم في التَّلقي متباينة؛ منهم من مصدره الذَّوق والوَجد، ومنهم من مصدره المنام أو الإلهام فيما يدَّعي، ومنهم من مصدره الكشف، ومنهم من مصدره العقل، يعتمد على العقل، وما يقوله العقل هو المقدَّم على ما يقوله الرسول -ﷺ-، وإذا تعارض أمران يدلُّ على أحدهما النَّقل ويدلُّ على الآخر عقله أخذ بما يدلُّ عليه عقله، ومن المعلوم أنَّ العقول متفاوتة وليست عقلًا واحدًا، فالحق مع عقل من؟! بهذا ردَّ السَّلف ضمن ردود كثيرة على أهل هذا القول، بل قال بعض السَّلف: من لازم قول هؤلاء أن يقول الواحد منهم أشهد أنَّ عقلي رسول الله، بدل أنَّ يقول أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله؛ لأنّ عقله مقدَّم على قول الرَّسول -ﷺ-، ومن المصادر أيضًا الإسرائيليات، والقصص، والتَّجارب، وأشياء كثيرة تجدها في كتب أهل البدع والأهواء.

أهل السُّنة والجماعة

فأهل السُّنة ليسوا في شيء من ذلك؛ بل سَمْتهم وسبيلهم وطريقتهم الأخذ بالسُّنة، ولهذا من أسماء السَّلفيين أو السَّلف: «أهل السُّنة والجماعة»، سُمُّوا بذلك لهذا؛ لأنهم يأخذون بسنَّته -عليه الصَّلاة والسَّلام-، مصدرهم في التَّلقي سنَّة النَّبيِّ -ﷺ-، وهذا منهم إنَّما كان عملًا بوصيته عليه الصَّلاة والسَّلام، لأنَّه أخبر أنَّ الأمَّة ستفترق في الأهواء إلى فرق كثيرة قال: «عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»، فلمّا أخبر بأنها ستفترق أوصى للسَّلامة من هذه الشُّرور وللوقاية من هذه الآفات بلزوم السُّنة ومجانبة البدعة فقال -عليه الصَّلاة والسَّلام-: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، أي فرق وأهواء وطوائف واتجاهات ونحو ذلك «فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، ثم أجاب -عليه الصَّلاة والسَّلام- دون أن يُسأل مبيِّنًا السَّبيل والمخرج من هذه الأمور فقال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فأرشد إلى هذا الأمر إلى الأخذ بالسُّنَّة، التَّمسك بها، اقتفاء آثار الرَّسول الكريم -عليه الصَّلاة والسَّلام-، والبعد عن البدع والأهواء أيًّا كان نوعها ومهما كانت صفتها، يبتعد عنها ويحذرها غاية الحذر، ويسأل الله -تبارك وتعالى- أن يُنجّيه من بوائقها وآفاتها، ويسأل الله -جل وعلا- أن يُوفِّقه للزوم السُّنة.

> السَّلفية ليست دعوى يدَّعيها المرء وإنَّما هي منهج وطريقة وهدًى مستقيم يوصل إلى رضوان الله تبارك وتعالى

صفة بارزة

فالأخذ بالسنة صفة بارزة، بل هي أبرز صفة لأهل السُّنة أو للسَّلف وهي أخذهم بسنَّة رسول الله -عليه الصَّلاة والسَّلام-، يبحثون عنها ويسألون عنها ويقرؤون الكتب في البحث عنها وتتبُّعها ومعرفتها، ثم ينقادون ويستسلمون، ولا يُقدِّمون قول أحد على قول رسول الله -عليه الصَّلاة والسَّلام-، ولا يقدِّمون رأي أحد على حديث رسول الله -ﷺ-، ولا يتعصّبون لقول أيِّ شخص غير قول رسول الله -ﷺ-، ويعتقدون أنَّ كل أحد يؤخذ من قوله ويُترك إلا الرسول -ﷺ-، ويتتبَّعون السُّنن ويبحثون عنها ويطبِّقونها في أنفسهم، يجتهدون في ذلك، ويسألون الله -تبارك وتعالى- أن يعينهم على هذا الأمر (الأخذ بسنَّته).

> من سمات السلفية سلامة مصدر التَّلقي التي تنجي من الآراء والأهواء ومصادر التَّلقي عند أهل البدع

الأمر الثاني: «وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه»

وعن الأمر الثاني وهو الاقتداء بأمر الرَّسول -عليه الصَّلاة والسَّلام- فهو الصِّفة الثَّانية العظيمة البارزة لأهل السُّنة أو للسَّلف الصَّالح، الأمر الأوَّل الذي هو الأخذ بالسُّنة هذا يتعلق بالعلم، والأمر الثاني وهو الاقتداء بأمره يتعلَّق بالعمل؛ فأهل السُّنة يقتدون بالرَّسول -عليه الصَّلاة والسَّلام-، هو أسوتهم وهو قدوتهم كما قال الله -جلَّ وعلا-:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)، قدوتهم هو رسول الله -عليه الصَّلاة والسَّلام- يقتدون به، ينظرون في أعمال النَّبيِّ -ﷺ- ويسألون عن عبادات النَّبيِّ -ﷺ-، عن طاعاته، قيامه بأمر الله، يسألون عن صفة صلاته، صفة حجِّه، صفة ذكره لله -جلَّ وعلا-، ثم يقتدون به. وهذا -ولا ريب- يتطلَّب العلم بسنَّة النَّبيِّ -ﷺ- العلم الصَّحيح وتمييز الصَّحيح من الضَّعيف ومعرفة الثابت من غيره، ثم يقتدي بأمر الرَّسول -عليه الصَّلاة والسَّلام.

وعندما قال: «بِأَمْرِهِ» أي بما ثبت أنه من أمره، فما لم يثبت أنَّه من أمر الرَّسول -ﷺ- يَدَعُونه ويقتدون بأمره؛ أي الثَّابت عنه عليه الصَّلاة والسَّلام، فهذا هدي أهل السُّنة في الأخلاق والأعمال والعبادات والسُّلوك؛ الاقتداء بأمر الرَّسول -ﷺ-، ينظرون في أخلاق النَّبيِّ يتتبعونها في معاملاته، في عباداته، في ذكره، في شؤونه كلها فيقتدون به -عليه الصَّلاة والسَّلام-، وقد مرَّ معنا قول الله -جلَّ وعلا-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وأكد الشيخ البدر الاهتمام بهاتين الصِّفتين: الأخذ بالسُّنة، والاقتداء بأمر الرَّسول -عليه الصَّلاة والسَّلام-؛ لنكون ممَّن اجتباه الله واصطفاه واختاره ليكون من أنصار النَّبيِّ -عليه الصَّلاة والسلام- وأتباعه حقًّا ومن المؤتسين به صدقًا لا دعوى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران:٣١).



المرأة المسلمة وطرائق تحصيل العلم (٢)

مؤهلات ومقومات طالبة العلم

د. محمد أحمد لوح

ما زال حديثنا مستمرا عن أهمية العلم للمرأة المسلمة وطرائق تحصيله؛ حيث ذكرنا أن العلم الشرعي له أهمية كبيرة في حياة المسلم والمسلمة، فهو المطية الموصلة لغاية عظيمة خلق لأجلها الخلق، ألا وهي تحقيق عبودية الله -جل جلاله- في هذه الحياة الدنيا، وكنا قد توقفنا عند المؤهلات والمقومات المطلوبة للمرأة حتى تقوم بهذا الواجب العظيم واليوم نستكمل تلك المقومات.

(٨) العمل بالعلم

إن ثمرة العلم العمل به والانتفاع منه؛ إذ لا قيمة لعلم لا ينفع حامله، ولقد استعاذ النبي -ﷺ-: من علم لا ينفع فقال: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»، قال الإمام سفيان بن عيينة المكي الهلالي -رحمه الله-: «ليس شيء أنفع من علم ينفع، وليس شيء أضر من علم لا ينفع». وقد صح أن العبد يسأل يوم القيامة عن علمه ما عمل فيه؟ وللخطيب البغدادي كتاب ماتع في الموضوع أسماه (اقتضاء العلم العمل) وكذلك للحافظ أبي القاسم ابن عساكر كتاب (ذم من لا يعمل بعلمه)، ومن الحكم الإلهية الباهرة أن العمل بالعلم يقود السامعين إلى الاقتداء، كما أن مخالفة العلم يصد الآخرين عن الأخذ به:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد
لعلمك مخلوقا من الناس يقبله
وإن زانك العلم الذي قد حملته
وجدت له ما يجتبيه ويحمله

والذي يخالف عمله علمه، معرض لأشد أنواع الوعيد، موصوف بأقبح أنواع الذم، فعن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بل كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»، وذكر -ﷺ- في أول ثلاثة من الذين تسعر بهم النار يوم القيامة رجلا «تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار».

وهذا معنى قول الناظم:

وعَالِمٌ بعِلمِه لَمْ يَعْمَلَنْ
مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنْ

ذم من لم يعمل بعلمه

ومما ذم الله به العالم الذي لم يعمل بعلمه، أن شبهه أخس الحيوانات: الكلب والحمار، فقال -تعالى-: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف ١٧٥-١٧٦)، وقال -تعالى-: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الجمعة:٥).

(٩) الأخذ عن العلماء

قال ابن سيرين ومالك وخلائق من السلف: «هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» فلا يأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته،

لا يؤخذ العلم إلا ممن كملت أهليته وظهرت ديانته واشتهرت صيانته وسيادته

ثمرة العلم العمل به والانتفاع منه إذ لا قيمة لعلم لا ينفع حامله

واشتهرت صيانته وسيادته.

واقع من تلقى العلم من الصحف

ومن اطلع على كتاب (تصحيفات المحدثين) للعسكري وكتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) لاين الجوزي يرى العجب العجاب، في شأن أولئك الذين تلقوا علمهم من الصحف دون مراجعة المشايخ، فقد قرأ أحدهم حديث النبي -ﷺ-: «زر غبا تزدد حبا» ففسره بما يضحك الصبيان، وعن يحيى بن بكير قال: جاء رجل إلى البشير بن سعد فقال: كيف حدثك نافع عن النبي -ﷺ-: في الذي نشرت في أبيه القصة؟ فقال الليث: ويحك إنما هو في الذي يشرب في آنية الفضة.

قال الدارقطني: وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أبو العيناء قال: حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين فأسند حديثا عن النبي -ﷺ- عن جبرائيل عن الله عن رجل فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟ فإذا هو -عز وجل- قد صحفه، وسأل حماد بن زيد غلاما فقال: يا أبا إسماعيل حدثك عمر أن النبي -ﷺ- نهي عن الخبز قال: فتبسم حماد وقال: يا بني إذا نهى عن الخبز فمن أي شيء يعيش الناس؟! وإنما هو نهي عن الخمر، وصحف أحدهم معنى الحديث (... حتى لو دخلتم جحر ضب لدخلتموه) أخرجه البخاري. فظن أن البخاري -وفي رواية الترمذي- إنما أخرج الضب من الجحر، ولم يتوقف التصحيف عند الحديث النبوي، بل صحف المصحفون حتى الكتاب العزيز.

وقرأ أحدهم -كما في كتاب الحمقى-: (فضرب بينهم بسنور له ناب) فقيل له إنما هو (بسور له باب) فقال: أنا لا أقرأ قراءة حمزة قراءة حمزة عندنا بدعة، وعن أبي الحسين أحمد بن يحيى قال: مررت بشيخ في حجره مصحف وهو يقرأ: (ولله ميزاب السموات والأرض) فقلت: يا شيخ ما معنى (ولله ميزاب السموات والأرض) قال: هذا المطر الذي نراه فقلت: ما يكون التصحيف إلا إذا كان بتفسير يا هذا إنما هو «ميرات السموات والأرض»، فقال: اللهم اغفر لي أنا منذ أربعين سنة أقرؤها وهي في مصحفي هكذا.

وعن أبي عبيدة قال: كنا نجلس إلى أبي عمرو بن العلاء فنخوض في فنون من العلم، ورجل يجلس إلينا لا يتكلم حتى نقوم فقلنا: إما أن يكون مجنونا أو أعلم الناس! فقال يونس: أو خائف سأظهر لكم أمره، فقال له: كيف علمك بكتاب الله -تعالى؟ قال: عالم به، قال: ففي أي سورة هذه الآية: (الحمد الله لا شريك له × من لم يقلها فنفسه ظلما)؟ فأطرق ساعة ثم قال: في حم.

قال الدارقطني: حدثنا النقاش قال: كنت بطبرية الشام أكتب على شيخ فيها عنده جزء فيه عن أبي عمرو الدوري، وكان فيه أن يحيى بن معمر قرأ: (إن لك في النهار شيخا طويلا..).

الذي يخالف عمله علمه معرض لأشد أنواع الوعيد موصوف بأقبح أنواع الذم

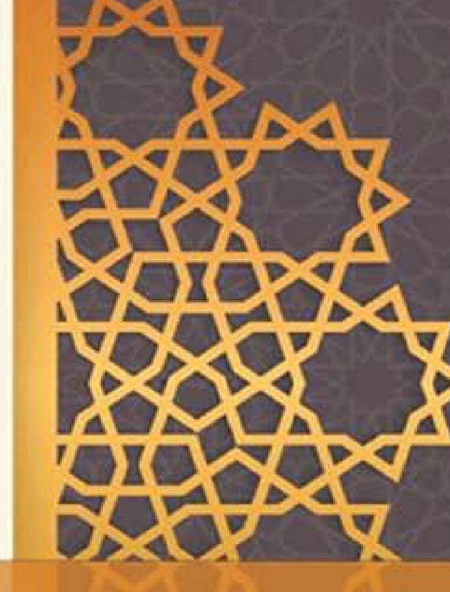
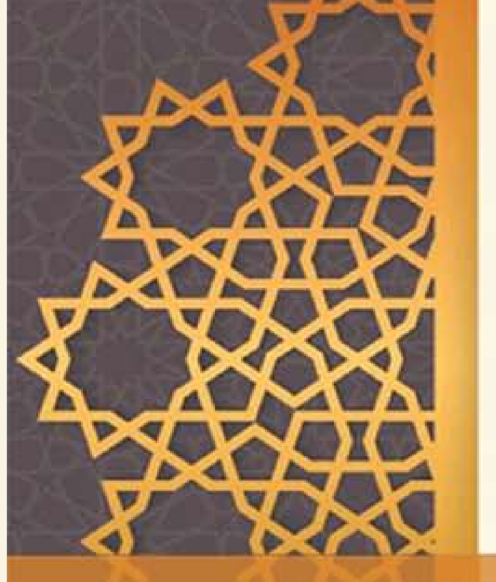
عن ابن الرومي قال: خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها، فأقام عنده أياما فقال له الخطيب: أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء القوم وقد أشكل علي في القرآن بعض مواضع قال: سلني عنها قال: منها في «الحمد لله» «إياك نعبد وإياك» (تسعين) أو (سبعين) أشكلت على هذه فأنا أقولها تسعين آخذ بالاحتياط!.

وكان توما رجلا ادعى الحكمة والطب، وزعم أنه يشفي من الأدواء، وذات يوم قرأ في كتب الطب النبوي حديث: «الحبة السوداء دواء لكل داء»، لكن الكلمة تصحفت عليه في الكتاب فقرأها الحية بالياء المثناة التحتانية.... وصار ينصح الناس بأكل الحيات السوداء، فصاروا يعالجون بها ويموتون!.

آداب المتعلم والمعلم

ولنختم هذه المقالة بذكر جملة من آداب المتعلم والمعلم مع الشيخ:

- أن يستخير الله -عز وجل- فيمن يأخذ عنه العلم من المشايخ.
- أن يكون مع شيخه كالمريض مع الطبيب الماهر في عدم مخالفة وصاياه.
- أن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله، وإن بلغ من العلم ما بلغ.
- أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلق.
- حسن الجلسة في المجلس.
- حسن السؤال وأن يقدم الدعاء بين يدي سؤاله كقوله غفر الله لك أو عفا الله عنك، قال الضحاك «ما استخرجت هذا العلم من العلماء إلا بالرفق بهم».
- أن يبجل المعلم من دون غلو أو إسراف.
- لا ينبغي للطالب قطع المعلم أثناء الشرح فإن هذا يفوت عليه الخير الكثير.
- إذا سمع المعلم يذكر شيئا هو يعرفه فإنه يصغي إصغاء مستفيد كأنه لم يسمعه قط.
- ألا يسبق المعلم إلى شرح مسألة أو جواب سؤال من غيره.

تأملاتٌ في النصيحة

سفك الدماء أمرٌ مُعَظَّمٌ في الشريعة غاية التعظيم

د. ياسر حسين محمود (٣)

نستكمل اليوم أنواع المصالح التي يجب على المسلم أن يعمل على حفظها نُصحًا لنفسه ولمجتمعه وأُمَّته، فقد تكلمنا في المقال السابق عن وجوب الحفاظ على الدين في دائرة الشخص نفسه وأُسْرته، وعائلته أو قبيلته، وطائفته وجماعته، ومجتمَعه وبلده وأُمَّته كُلِّها، وبَذْل كُلِّ جهد لدعوة البَشرية كُلِّها للدخول في هذا الدين والالتزام به، والتضحية من أجْل هذه الغاية العظيمة النبيلة بالنفس والمال.

والذي يلي أمرَ الدين -الذي هو عِصْمَةُ الأَمْر-: حِفْظُ النفوس التي خلقها الله -عَزَّ وَجَلَّ- لعبادته، ولم يأذن لأَحَد أن يُزهقها إلا بما شرعه -سبحانه-؛ لأنه مالكها، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام:١٥١).

سفك الدماء بغير حق

تَعَجَّبَ الملائكةُ ممن يُفسد في الأرض ويَسفك الدماء، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة:٣٠)؛ وما ذاك إلا لأن سفك الدماء بغير حق أمرٌ مُعَظَّمٌ غاية التعظيم في الإجرام، وهو وإن كان من ضمن الفساد في الأرض إلا أنه عُطِف عليه تخصيصًا له؛ لأنه أعظم أنواع الفساد بعد الشِّرْك بالله، ولا يتجرأ على خيار سفك الدماء المعصومة -ولا سيما المؤمنة منها والبريئة- إلا جَبَّارٌ في الأرض، ويشترك في الجبروت: مَن بَاشَرَ، ومَن أَمَرَ أو أَكْرَهَ، ومَن أَعَانَ وتَسَبَّبَ قَاصِدًا، ومَن رَضِيَ بذلك.

خيارات بعض التيارات الإسلامية

والعَجَبُ أن يكون من ضمن خيارات بعض المنتسبين إلى العمل الإسلامي سفك دماء الملايين من الناس، بل المسلمين!، وتحويل البلاد إلى فوضى بزعم نُصْرَة الدين، بل ويعلنون ما سَمَّوه: (إدارة التَوَحُّش) في هذا الباب؛ لكي ينشروا الرعب والخراب في البلاد تمهيدًا لإقامة الدولة الإسلامية -في زعمهم.

سيرة النبي - ﷺ

ومَن تَدَبَّرَ سيرة النبي -ﷺ- عَلِم أنه ما أقامها -نعني الدولة الإسلامية- وَوَسَّعَها أصحابُه على سفك الدماء المعصومة قط، فضلًا عن (التوَحُّش) في ذلك، سواءً المسلمين والمعاهدين، بل وغير المعاهدين ممن لا يشارك في القتال وأعمال الحرب كالنساء والصبيان، والأُجَرَاء، والشيوخ الفانين والرهبان المعتزلين؛ لقول النبي -ﷺ- لما رأى امرأة مقتولة: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ» (رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني)، وقال -ﷺ- لأميره على جيشه: «اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا» (رواه مسلم)، وكما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- لنَجْدَة الحَرُورِيِّ في بيان حرمة قتل الغلمان: «وَأَنْتَ فَلَا تَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا؛ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا عَلِمَ الْخَضِرُ مِنَ الْغُلَامِ حِينَ قَتَلَهُ» (رواه مسلم). أي وهذا مستحيلٌ بلا وحي، وقد انقطع الوحي.

لا تَقْتُلْ ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفًا

وقال النبي -ﷺ- لبعض أصحابه: «أَدْرِكْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ: لَا تَقْتُلْ ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفًا» (رواه ابن حبان، وصححه الألباني)، وفي رواية: «قُلْ لِخَالِد: لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا» (رواه أبو داود، وصححه الألباني). (عَسِيفًا): أي أجيرًا، كالفلاحين في حقولهم، ونحوهم من المدنيين الذين لا يشاركون في القتال بأي صورة.

الواجب على كُلِّ ناصح

فالواجب على كُلِّ ناصح لنفسه ولأُمَّتِه -في الخيارات المعروضة عليه- أن يَمنع عنهم سفك الدماء، ويُجَنِّبهم إزهاق النفوس، والموازنة في هذا واجبة؛ فإن كان في بعض الخيارات قتل الملايين أو مئات الألوف، وفي غيرها قتل العشرات أو المئات مع بقاء الدين: كان الواجبُ دفعُ الخيار الأول ورفضه، واحتمالُ الخيار الثاني.

منافع النفوس

وتأتي منافع النفوس ضمن هذا الباب -وإن كانت دونها في المنزلة-، فمنها: الألَم والتعذيب الجسدي، والسجن والحبس؛ فمنعُ ذلك واجبٌ أيضًا، وإن خُيِّرَ بين القتل والحبس، أو بين القتل والضرب: كان اختيارُ الحبس أو الضرب أهون الشرور.

قصَّة مشهورة

وفي هذا تُروى القصَّة المشهورة -وأظُنُّها على سبيل التمثيل-: أن عَالمًا تَشَفَّعَ عند مَلك من الملوك أمَرَ بقتْل رَجُل مظلوم، فقبِلَ شفاعته على أن يقوم بضَرْبه أمام النَّاس؛ فقام العَالمُ بإيقافه وضربه؛ فقال الناس: «سبحان الله! يضربه ظُلمًا وعُدوانًا إرضاء للملك الظالم؛ صار من أعوان الظلمة!، وهو في الحقيقة ناصحٌ للمظلوم مُنقِذٌ له، ضمن مَن يدخلون في قوله -تعالَى-: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢).

النفس مُقدَّمَة على الدين

ومِن أجْلِ الحفاظ على النفوس شَرَعَ اللهُ النطقَ بكَلمَة الكُفر عند الإكراه، قال -تعالى-: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل:١٠٦)، ليس ذلك لأن النفس مُقدَّمَة على الدين، بل لأن الدين يُمكن حفظُه بطمأنينة القلب بالإيمان وإن نطق بكلمة الكفر؛ فيُمكِن حفظ النفس وحفظ الدين معًا.

حفظ منافع النفوس

وقد تتفاوت مسألة حفظ منافع النفوس في هذا الباب بحسب الأدلة الشرعية؛ فلا يصح الإكراه على الزنا بالسجن: قال -تعالى- عن يوسف -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف:٣٣)؛ فدل على أن مَن صَبَا ومَالَ إلى مثل هذا الأمر كان من الجاهلين.

يلي أمرَ الدين حِفظُ النفوسِ التي خلقها الله عَزَّ وجَلَّ لعبادته ولم يأذن لأحد أن يُزهِقها إلا بما شرعه سبحانه

لا إكراه في قتل الآخر

قال القرطبي -رحمه الله-: «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى قَتْلِ غَيْرِهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ الْإِقْدَامُ عَلَى قَتْلِه، وَلَا انْتِهَاكُ حُرْمَتِه بِجَلْد أَوْ غَيْرِه، وَيَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ الَّذِي نَزَلَ بِه، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَفْدِيَ نَفْسَهُ بِغَيْرِه، وَيَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ في الدنيا والآخرة. واختُلف في الزنا، فَقَالَ مُطَرِّفٌ وَأَصْبَغُ وَابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ وَابْنُ الْمَاجِشُونِ: لَا يَفْعَلُ أَحَدٌ ذَلِكَ، وَإِنْ قُتِلَ لَمْ يَفْعَلْهُ، فَإِنْ فَعَلَهُ فَهُوَ آثِمٌ وَيَلْزَمُهُ الْحَدُّ، وَبِه قَالَ أَبُو ثَوْرٍ وَالْحَسَنُ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: الصَّحِيحُ أَنَّه يَجُوزُ الْإِقْدَامُ عَلَى الزنا وَلَا حَدَّ عَلَيْه، خلَافًا لِمَنْ أَلْزَمَهُ ذَلِك».

الإكراه يختلف باختلاف المُكْرَه عليه

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «تأمَّلْتُ المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المُكْرَه عليه؛ فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بتعذيب من ضرب أو قيد، ولا يكون الكلام إكراها» (انتهى من الفتاوى الكبرى).

وإن كان قد ورد ما يدل على أن الوعيد المُحقَّق إكراهٌ، كما قال مالك -رحمه الله-: «وَالْوَعِيدُ الْمُخَوِّفُ إِكْرَاهٌ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ، إذَا تَحَقَّقَ ظُلْمَ ذَلِكَ الْمُعْتَدِي وَإِنْفَاذَهُ لِمَا يَتَوَعَّدُ بِه» (نقله القرطبي في تفسيره ١٠/ ١٩٠).

يتمكن الأعداء من اختراق الأوطان بتدمير أخلاقِ أفرادِها وأُسَرِها

قال القرطبي -رحمه الله-: «وَلَيْسَ عِنْدَ مَالك وَأَصْحَابه في الضَّرْب وَالسَّجْن تَوْقِيتٌ، إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ يُؤْلِمُ مِنَ الضَّرْب، وَمَا كَانَ مِنْ سِجْن يَدْخُلُ مِنْهُ الضِّيقُ عَلَى الْمُكْرَه. وَإِكْرَاهُ السُّلْطَانِ وَغَيْرِه عِنْدَ مَالك إِكْرَاهٌ» (تفسير القرطبي ١٠/ ١٩٠).

وقال القرطبي أيضًا: «أُكْرِهَ يُوسُفُ -عَلَيْه السَّلَامُ- عَلَى الْفَاحشَة بِالسِّجْن، وَأَقَامَ خَمْسَةَ أَعْوَام، وَمَا رَضِيَ بِذَلِكَ لِعَظِيم مَنْزِلَته وَشَرِيف قَدْرِه، وَلَوْ أُكْرِهَ رَجُلٌ بالسجن على الزنا مَا جَازَ لَهُ إِجْمَاعًا. فَإِنْ أُكْرِهَ بِالضَّرْب فَقَد اخْتَلَفَ فيه الْعُلَمَاءُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ إذا كان فادحًا فإنه يسقط عنه إثم الزنا وَحَدُّهُ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: إِنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَنْهُ الْحَدُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- لَا يَجْمَعُ عَلَى عَبْده الْعَذَابَيْنِ، وَلَا يُصَرِّفُهُ بَيْنَ بَلَاءَيْنِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَم الْحَرَجِ فِي الدِّينِ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨)» (تفسير القرطبي ٩/ ١٨٧).

الحفاظ على الأعراض والفروج

ثم يأتي الحفاظ على الأعراض والفروج وما يتعلق بها في ضرورات الإنسان التي يَلزم الحفاظ عليها، والنصح للأهل والمجتمع، والبلاد والأمَّة في الحفاظ على ذلك؛ فالدعوة إلى الحجاب، ومنعُ الاختلاط المُحرَّم ومُقدِّمات الفواحش كُلِّها، وعقوبة مرتكبيها، والتحذيرُ من الزنا واللواط، وإقامةُ الحدود على فاعل ذلك، من النصيحة الواجبة للأمة في هذا الباب.

الواجب على المسلم

والواجب على المسلم أن ينصح لأهله وأُسرَته ومَن تحت ولايته نصيحةً واجبةً في ذلك؛ ليمنع الفواحش ومُقدِّمَاتها، وهو في الحقيقة ناصحٌ أيضًا لمُجتمعه ووطنه؛ إذ أن الأعداء إنما يتمكنون من اختراق الأوطان بتدمير أخلاق أفرادها وأُسَرها واختلال العلاقة بيْن الرجل والمرأة؛ ولذلك وضعوا قِيَمَهُم الفاسدة في نشر الفساد في الأعراض على أولى أولوياتهم في حربهم ضد الإسلام وأهله.



الإصلاح الشّرعيّ.. المنطلقات والمقومات

فتحي بن عبد الله الموصلي (٢)

ما زال الحديث مستمرا عن منطلقات الإصلاح الشرعي ومقوماته؛ حيث ذكرنا أن الداء العضال الذي أصاب الأمة في وقتنا الحاضر لا يعالج بالأمنيات والشعارات، ولا بإطلاق العبارات ويسير التحركات، ولا بإصدار البيانات وتحريك المظاهرات، وإنما يعالج بمنهجية عريقة، وسنين طويلة، وجهود كبيرة من العمل والإصلاح، كما ذكرنا عددا من عناصر الإصلاح ومقوماته ومواده وذكرنا منها أربعة عناصر وهي: إصلاح الخاطرة بالمراقبة، وإصلاح الفكرة بالعقيدة، وإصلاح الإرادة بالإخلاص، وإصلاح الكلمة بالصدق، واليوم نكمل تلك العناصر.

(١) إصلاح العمل والطاعة بالاتباع

وهو إصلاح الأعمال والطاعات بالموافقة للكتاب والسنة وتطهيرها من الشرك والبدعة، كما قال -تعالى-: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)}؛ وقال -تعالى-: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}؛ أي: آمن إيمانا شرعيًا، وقال -تعالى-: {فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}.

(٢) إصلاح المعاملة بالعدل والإحسان

هذا النوع من الإصلاح من الدقة بمكان؛ بحيث تجري تصرفات الإنسان مع غيره على نهج الشريعة وأحكامها ومقاصدها، فيتديّن العبد في معاملة الناس بالصبر والسماحة والعدل والإحسان والآداب والأخلاق، كما قال -تعالى-: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ}؛ فأمرهم الله -تعالى- أولا بإصلاح الفكر بالاعتقاد السليم والتوحيد الصحيح، ثم بإصلاح المعاملة؛ ليكون الإصلاح في المعاملة مبنيًا على الإصلاح في الفكر.

(٣) إصلاح الصحبة بالتقوى

وهذا ظاهر في قوله -تعالى-: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

(٤) إصلاح الأسرة بالتربية

كما قال -تعالى-: {وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، وقال -تعالى-: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}، وقال -تعالى-: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}.

(٥) إصلاح الدعوة بالحكمة

كما قال -تعالى-: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، وقال -تعالى-: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ}.

(٦) إصلاح الإدارة بالتعاون والإتقان

كما قال -تعالى-: {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا}.

(٧) إصلاح القدوة بالمناصحة والمشاورة

كما قال -تعالى- على لسان موسى -عليه السلام-: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}، وقال -تعالى- على لسان ملكة سبأ-: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ}، وقال تعالى لرسوله -ﷺ-: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}.

(٨) إصلاح الولاية بالقوة والأمانة

كما قال -تعالى-: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)}، وقال -تعالى-: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}.

(٩) إصلاح السّياسة بالشّرع والعدل

كما قال -تعالى-: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}، وقال -تعالى-: {قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}.

(١٠) إصلاح الدولة بالأمن والاستقرار

كما قال -تعالى-: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

أهل الإصلاح المتدرّج الشامل في كل عصر غرباء غربة حال ومعرفة ومنهاج

إصلاح الأعمال والطاعات يكون بالموافقة للكتاب والسنة وتطهيرها من الشرك والبدعة

شَكُورٌ﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، وقال -تعالى- على لسان ملكة سبأ-: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)﴾.

(١١) إصلاح الأمة بالوحي والرسالة

كما قال -تعالى-: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وقال -تعالى-: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، وقال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

(١٢) إصلاح (الحضارة) بالعلم والأخلاق

تطلق (الحضارة) على الإقامة في الحضر، ثم شاع استخدامها في العصر الحديث في الدلالة على مظاهر الرقي العلمي والأدبي والاجتماعي، أو للتعبير عن المدنية واتساع العمران؛ وإصلاحها يكون بالعلم والأخلاق؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وقال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣)﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)﴾.

أصلان عظيمان

وهذه المقومات والعناصر من: المراقبة، وحسن الاعتقاد، والإخلاص، والصدق، والاتباع، والعدل والإحسان، والتقوى، والتربية، والحكمة، والتعاون والإتقان، والمناصحة والمشاورة، والقوة والأمانة، والشرع والعدل، والأمن والاستقرار، والوحي والرسالة، والعلم والأخلاق، كلها ترجع- في الحقيقة- إلى أصلين عظيمين وهما: (العدل والعلم)، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

ثلاث حقائق مهمة

وهاهنا ثلاث حقائق مهمة للوصول إلى الإصلاح الشّرعي الشّامل المتدرّج، وهي:

البدء بالأسهل

الأولى: أن البدء في كل مرحلة من مراحل الإصلاح وفي كل منطلق من منطلقاته ينبغي أن يكون بالأسهل، كما قال ابن القيم -رحمه الله- في كتاب (الفوائد ص١٧٥): «ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد، فأنفع الدواء: أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك؛ فالفكر فيما لا يعني باب كل شر ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه».

المتقدم مفتاح المتأخر

الثانية: أن المتقدم من المنطلقات هو مفتاح المتأخر، والمرحلة التالية من الإصلاح هي ثمرة المرحلة السابقة؛ فإذا بدأ الإنسان - على أساس صحيح- بإصلاح التفكير أصلح الله له الأعمال؛ وإذا بأشر بإصلاح العمل أصلح الله له الدعوة، وإذا أصلح الدعوة أصلح الله له السياسة، وهذا ظاهر في قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، فالآية دلت على أن إصلاح الأعمال جزاء على إصلاح القول؛ فالثاني هو ثمرة الأول وأثرٌ من آثاره، فعلى أهل الإصلاح أن يدركوا حقيقةً مهمةً وهي أن الإصلاح السياسي في جميع أنواعه ما هو إلا ثمرة الإصلاح الشامل في ميدان الدعوة والإدارة.

أهل الإصلاح هم الغرباء

الحقيقة الثالثة: أن أهل الإصلاح المتدرّج الشامل في كل عصر غرباء: غربة حال، ومعرفة، ومنهاج، وقد تنشأ غربتهم من تمسكهم بدينهم وقيامهم به، أو من قلة عددهم وازدياد عدد مخالفيهم، أو من علو همتهم في حمل الحق مقارنةً بغيرهم، أو من اختصاصهم بفهم العلم والدين والإيمان، أو من تفردهم بإحياء السنن وتعليم الأحكام، أو من اشتغالهم بإصلاح أنفسهم وإصلاح ما أفسده الناس، وقد تنشأ غربتهم من ذلك كله؛ فهم البقية الباقية من أتباع الرسل من الذين ذكرهم الله -تعالى- في كتابه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

ويشهد لهذا المعنى: الحديث الذي رواه الطبراني بإسناد صحيح - وأصله في (صحيح مسلم)- عن النبي -ﷺ- قال: «طوبى للغرباء قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»، والهدف المنشود لهؤلاء الغرباء الأنقياء الأتقياء هو: الوصول إلى النتائج الباهرة ؛ بحيث تكون: (الخاطرة سليمة، والفكرة صحيحة، والإرادة نقية، والكلمة سديدة، والعبادة مستقيمة، والمعاملة نافعة، والصحبة صادقة، والأسرة متماسكة، والدعوة ظاهرة، والإدارة ناجحة، والقدوة صالحة، والولاية أمينة، والسياسة عادلة، والدولة آمنة، والأمة جامعة، والحضارة قائمة)، ليكون التناسب بين المنطلقات والمقومات، وبين النتائج والمقدمات: بالمبنى والمعنى، وبالمنهاج والطريقة.

فَضْلُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ وَعَاشُورَاءَ

لَقَد اقْتَضَتْ حِكْمَةُ الله -تعالى- فِي خَلْقه تَفْضِيل الْأَزْمِنَة وَالشُّهُور بَعْضهَا عَلى بَعْض؛ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ-تعالى- عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص:٦٨)، وَإِنَّ مِنْ فَضْلِ الله وَمِنَّتِه عَلَى عِبَادِه الصَّالِحِينَ أَنْ جَعَلَ لَهُمْ مَوَاسِمَ لِلْخَيْرَات، تُضَاعَفُ فِيهَا الْحَسَنَاتُ، وَتَزْدَادُ فِيهَا الْأُجُورُ وَالْبَرَكَاتُ.

فَبَعْدَ أَنْ صَامَ الْمُسْلِمُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ، جَاءَتْ سِتٌّ مِنْ شَوَّال، ثُمَّ عَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّة. فَمَا أَنْ يَنْتَهِيَ مَوْسِمٌ إِلَّا وَيَعْقُبُهُ مَوْسِمٌ آخَرُ، وَهَا هُوَ ذَا قَدْ أَظَلَّكُمْ مَوْسِمٌ مِنْ مَوَاسِم الْخَيْر أَلَا وَهُوَ شَهْرُ الله الْمُحَرَّمُ، شَهْرُ الْخَيْرَات وَالْبَرَكَات، شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ نَجَّى اللهُ فِيه مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِه، شَهْرٌ أَضَافَهُ النَّبِيُّ -ﷺ- إِلَى الله فَسَمَّاهُ شَهْرَ الله الْمُحَرَّمَ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا، وَهُوَ أَوَّلُ شُهُور السَّنَة الْهِجْرِيَّة وَفَاتِحَةُ الْعَام، وَأَحَدُ الْأَشْهُر الْحُرُم الَّتِي قَالَ اللهُ فِيهَا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (التوبة:٣٦).

فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاس -رضي الله عنهمَا- فِي تَفْسِير قَوْلِه -تعالى-: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ فِي كُلِّهِنَّ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُر فَجَعَلَهُنَّ حُرُمًا، وَعَظَّمَ حُرُمَاتِهِنَّ، وَجَعَلَ الذَّنْبَ فِيهِنَّ أَعْظَمَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ بِالْأَجْر أَعْظَمَ. وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُم أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْم فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَال عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِه مَا شَاءَ».

العَامُ الجَدِيدُ يُذَكِّرُنَا بِأَنَّ الأَيَّامَ خَزَائِنُ الأَعْمَالِ وَمَرَاحِلُ الأَعْمَارِ وَيَدْفَعُنَا أَنْ نَسْتَذْكِرَ تَضْحِيَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحَابَتِهِ

تأكيد حرمة الشهر

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَة، وَذُو الْحِجَّة، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْه).وَسُمِّيَ مُحَرَّمًا تَأْكِيدًا لِتَحْرِيمه، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ أَيْضًا: الْأَصَمَّ؛ لِشِدَّة تَحْرِيمه.وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ عَنِ السَّلَف: كَانُوا يُعَظِّمُونَ ثَلَاثَ عَشَرَاتٍ: الْعَشْرَ

خَزائِنُ الأَعْمَالِ وَمَرَاحِلُ الأَعْمَارِ، وَيَدْفَعُنَا أَنْ نَسْتَذْكِرَ تَضْحِيَاتِ النَّبِيِّ -ﷺ- وَصَحَابَتِه؛ مِنْ أَجْلِ العَقِيدَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ وَنُصْرَتِه، أُولَئِكَ الرَّعِيلُ الَّذِينَ بَذَلُوا النَّفْسَ وَالنَّفِيسَ وَالغَالِيَ وَالرَّخِيصَ؛ لِتَبْقَى العَقِيدَةُ، وَيُنْصَرَ المَبْدَأُ، وَتَحْيَا الأُمَّةُ، وَتَعِيشَ الأَجْيَالُ عَلَى مَائِدَةِ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ، وَتَتَعَاوَنَ عَلَى التَّقْوَى وَالإِحْسَانِ، وَتَتَنَاهَى عَنِ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

الهِجْرَةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حَدَث تَارِيخِيٍّ

إِنَّ الهِجْرَةَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حَدَثٍ تَارِيخِيٍّ يُسْرَدُ، وَلَا مَحْضَ انْتِقَالٍ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ أَوْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ؛ وَإِنَّ مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْهَا: أَنْ يَهْجُرَ المَرْءُ المَعْصِيَةَ إِلَى الطَّاعَةِ، وَالْكُفْرَ إِلَى الإِيمَانِ، وَالشِّرْكَ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالكَسَلَ إِلَى الجِدِّ وَالمُثَابَرَةِ، وَالجَزَعَ إِلَى الصَّبْرِ وَالمُصَابَرَةِ، وَالتَّوَاكُلَ إِلَى التَّوَكُّلِ، وَالتَّثَاقُلَ إِلَى التَّشْمِيرِ وَالعَمَلِ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» (رَوَاهُ البُخَارِيُّ)، وَأَنْ يَهْجُرَ الجَهْلَ إِلَى العِلْمِ، وَالتَّبَلُّدَ إِلَى الفِطْنَةِ وَالفَهْمِ، وَالتَّخَلُّفَ إِلَى التَّقَدُّمِ وَالازْدِهَارِ، وَالكَرَاهِيَةَ وَالأَثَرَةَ إِلَى المَحَبَّةِ وَالإِيثَارِ.

الهجْرَةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حَدَث تَارِيخِيٍّ يُسْرَدُ بل يستفاد منه أَنْ يَهْجُرَ المَرْءُ المَعْصِيَةَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالشِّرْكَ إِلَى التَّوْحِيدِ

الظُّلْمُ فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا

الأَخِيرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، وَالعَشْرَ الأَوَّلَ مِنَ المُحَرَّمِ.

الإِكْثَارُ مِنَ الصِّيَام

وَيُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنَ الصِّيَامِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ؛ شَهْرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). وَفِي هَذَا الشَّهْرِ العَظِيمِ، يَوْمُ عَاشُورَاءَ، لَهُ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ وَحُرْمَةٌ قَدِيمَةٌ، وَصَوْمُهُ لِفَضْلِهِ كَانَ مَعْرُوفًا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ صَامَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَامَهُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ -ﷺ-، وَحَثَّ المُسْلِمِينَ عَلَى صِيَامِهِ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ -ﷺ- المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ؛ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى. قَالَ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ». فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ)، فَكَانَ -ﷺ- يَأْمُرُ بِصِيَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ قَالَ -ﷺ- عَنْ عَاشُورَاءَ: «مَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُفْطِرْ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رضي الله عنها).

صَوْمُ يَوْم عَاشُورَاء

وَلَمَّا سُئِلَ -ﷺ- عَنْ فَضْلِ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ قَالَ: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ -رضي الله عنه-)، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَصُومَ اليَوْمَ التَّاسِعَ مَعَهُ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

الأَيَّامُ خَزَائِنُ الأَعْمَال

هَا نَحْنُ أُولَاءِ فِي عَامٍ هِجْرِيٍّ جَدِيدٍ قَدْ أَتَى، بَعْدَ أَنِ انْطَوَتْ صَفَحَاتُ عَامٍ مَضَى وَانْقَضَى، وَهُوَ يُذَكِّرُنَا بِأَنَّ الأَيَّامَ

عاشوراء وضبط المفاهيم

م. سامح بسيوني

روى الشيخان في صحيحيهما عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قدم المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟»، فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم» فصامه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأمر بصيامه». (رواه الشيخان).

وعنه أيضًا أنه قال: حين صام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم عاشوراء وأمر بصيامه: قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع»، إنها كلمات تأصيلية تقرع أذاننا مع بداية كل عام هجري جديد لتُصحح مفاهيمنا وتُضبط موازيننا، وتُقوم تصوراتنا فلا تختلط علينا الأوراق في خضم تلك الأمواج العاتية.

شعار للموالاة بين المؤمنين

قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نحن أولى بموسى منكم»، شعار للموالاة بين المؤمنين عبر الزمان وفي أي مكان وبيان لعظم رابطة الدين والإيمان التي هي أقوى من أية رابطة أخرى مهما كان، فالمسلمون -وإن تباعدت بهم الأماكن، وحالت دون لقياهم الأزمان- هم أولى بولاية بعضهم بعضًا، كما قال -تعالى-: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (الحشر:١٠)، فقد تآخى في دين الإسلام الحبشي بلال، والرومي صهيب، والفارسي سلمان، مع العربي القرشي تصديقًا عمليًا لقول الله -تعالى-: {إنما المؤمنون إخوة} (الحجرات:١٠).

المسلمون تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُم وأعراضهم

والمسلمون في كل مكان وزمان تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُم وأعراضهم، فدماء المسلمين واحدة، وأعراضهم وحقوقهم واحدة، كما أن دينهم واحد، فلا فرق بين دم وعرض هذا، ودم وعرض ذاك -طالما ثبت لهم الإسلام- وإن اختلفت الرؤى فيما يسع فيه الخلاف، قال -صلى الله عليه وسلم-: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لاَ يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ».

والمسلم الطائع يُحب من كل وجه، بينما المسلم العاصي أو المبتدع فإنه يُحب من جهة إسلامه، ويُبغض من جهة معصيته وبدعته، و يُنصح ويُبيّن له خطر معصيته وبدعته، ويُرد عنها بكل ما هو متاح، طبقًا لقواعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ لأن ذلك من حقوق المولاة له، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَمنعهُ من الظُّلم فَذَاك نصرك إِيَّاه» مُتَّفق عَلَيْه.

مبدأ التمايز بين أهل الإسلام

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «فإن كان العام المقبل- إن شاء الله- صمنا اليوم التاسع»، شعار نبوي واضح لتأصيل مبدأ التمايز بين أهل الإسلام وغيرهم من أهل الملل والأديان، فالتمايز والتباين العقدي بين أمة الإسلام وغيرها من الأمم يجب أن يكون واضحا لا ريب فيه عند كل مسلم، فلا يدخل الجنة في الآخرة إلا من مات على دين الإسلام.

كما قال -عز وجل- في كتابه: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ

التمايز والتباين العقدي بين أمة الإسلام وغيرها من الأمم يجب أن يكون واضحًا عند كل مسلم

المسلمون وإن تباعدت بهم الأماكن وحالت دون لقياهم الأزمان هم أولى بولاية بعضهم بعضًا

مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران:١٩)، وقال أيضا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. ﴾ (المائدة ٧٢-٧٣).

التمايز العقدي

وقد حرص النبي -ﷺ- على تأكيد ذلك التمايز بالإكثار من مخالفة أهل الكتاب الذين كانوا يساكنونه الأرض، حتى قالت اليهود: «ما يريد هذا الرجل أن يدعَ من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه» (رواه مسلم)، وهذا التمايز العقدي الذي أقره النبي -ﷺ- حين دخوله المدينة يجب أن يتبعه تمايزا -وإن شئت فقل تميزا- أخلاقيا وحضاريا في التعامل مع المخالفين لنا في عقيدتنا أو البعيدين عن مفاهيم أمتنا، كما وصف الله -عز وجل- هذه الأمة وميزها بقوله -تعالى-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠)، وقال أيضًا:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٦-٨).

تعايش النبي -ﷺ- مع يهود المدينة

وكما فعل النبي -ﷺ- في تعايشه مع يهود المدينة طبقا لذلك العقد المطلق الجائز الذي عقده معهم في وثيقة المدينة- في الوقت ذاته الذى أعلن فيه مخالفتهم في عقائدهم وأعيادهم التي هي شعائر لدينهم، وفي عباداتهم كصيام عاشوراء كما بينا في الحديث السابق - التي كُتب في دستورها: «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين»، وتكفل لهم فيها بجميع أنواع الحقوق:

- فلم يقتل -ﷺ- يهوديًا إلا من خان وغدر، ولم يكره أحداً منهم على الإسلام، عملاً بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وكتب في ميثاق المدينة: « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم».
- ولم يصادر -ﷺ- أملاك أحدٍ منهم، بل أقر النبي -ﷺ- المسلمين على تجارتهم معهم.

المسلم الطائع يُحب من كل وجه بينما المسلم العاصي فإنه يُحب من جهة إسلامه ويُبغض من جهة معصيته

- وجعل لهم -ﷺ- حق الحماية والدفاع عن المدينة مع المسلمين: فقد جاء في ميثاق المدينة: وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
- وقام -ﷺ- بالعدل معهم في المعاملة ورفع الظلم عن المظلومين منهم، كما جاء في صحيفة المدينة: « وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم»، وحقق -ﷺ- ذلك عمليا؛ ولو كان على حساب المسلمين.

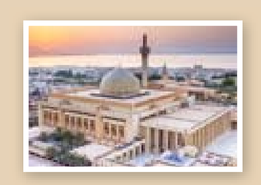
فمن ذلك أنه لما قتل أهلُ خيبر عبدَ الله بن سهل -رضي الله عنه-: لم يقض النبي -ﷺ- عليهم بالدية، ولم يعاقبهم على جريمتهم، لعدم وجود البينة الظاهرة ضدهم، بل دفع النبي -ﷺ- ديته من أموال المسلمين. (والقصة في البخاري ومسلم)، وكذلك لما اختصم الأشعث بن قيس ورجل من اليهود إلى النبي -ﷺ- في أرض باليمن ولم يكن لعبد الله بيّنة قضى فيها لليهودي بيمينه، (وهي أيضًا في البخاري ومسلم)، وقد وردت أخبار كثيرة في أن النبي -ﷺ- كان يعفو عن كل من أظهر الوفاء بالعهد من اليهود، ولا يعاقب إلا من شارك في الغدر أو أقر ورضي.

ليس مجرد حدث تاريخي

لذلك لابد لنا أن نعي أن عاشوراء ليس مجرد حدث تاريخي، إنما هو بيانٌ واضحٌ لقضية التمايز والتباين والتعايش بين أمة الإسلام وأمم الأرض كلها، طبقا لأنواع العقود المختلفة في الشريعة الإسلامية، وبيان كذلك لهذا التميز الأخلاقي والحضاري المطلوب من أبناء هذه الأمة في كل زمان ومكان، فهل ستنضبط تصوراتنا في بداية عامنا بمثل هذه المفاهيم يا جيل النصر المنشود ؟

من لي بجيل مستجدٍّ لم يرث
إلا عن الجد القديم الأبْعَدِ
يرث ابن حفص في أصالةِ رأيه

خطبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



التَّحْذِيرُ مِنْ خَطَرِ اللِّسَانِ

جاءت خطبة الجمعية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لهذا الأسبوع الموافق ١٢ من المحرم ١٤٤٣هـ - الموافق ٢٠/٨/٢٠٢١م، متحدثة عن خطر اللسان وآفاته؛ حيث بينت الخطبة أنَّ اللِّسَانَ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ الله، يُعَبِّرُ عَنْ مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ، وَيُخَبِّرُ بِمَكْنُونَاتِ السَّرَائِرِ، لَا يُمْكِنُ اسْتِرْجَاعُ بَوَادِرِهِ، وَلَا يُقْدَرُ عَلَى رَدِّ شَوَارِدِهِ، وَحَقٌّ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْ زَلَلِهِ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ كَلِمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا لَدَيْهِ مَلَكٌ يُرَاقِبُهُ وَيَحْفَظُ قَوْلَهُ وَيَكْتُبُهُ؛ قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨).

وأكدت الخطبة أنَّ النَّبيَّ -ﷺ- أَمَرَ بِحِفْظِ اللِّسَانِ إِلَّا عَنْ قَوْلِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ؛ فَعَنْ أَسْوَدَ بْنِ أَصْرَمَ -رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «هَلْ تَمْلِكُ لِسَانَكَ؟» قَالَ: فَمَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْهُ؟ قَالَ: «أَفَتَمْلِكُ يَدَكَ؟» قَالَ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي؟ قَالَ: «فَلَا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلَّا مَعْرُوفًا، وَلَا تَبْسُطْ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ» (أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

عَظِيمٌ جُرْمُهُ

وَاللِّسَانُ مَعَ صِغَرِ جِرْمِهِ فَإِنَّهُ عَظِيمٌ جُرْمُهُ، فَمَنْ تَرَكَهُ مَرْخِيَّ الْعِنَانِ قَادَهُ الشَّيْطَانُ إِلَى كُلِّ مَيْدَانٍ، وَسَاقَهُ إِلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، إِلَى أَنْ يَضْطَرَّهُ إِلَى الْبَوَارِ؛ وَفِي الْحَدِيثِ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» (أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه- وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ).



مِمَّا يُدْنِي مِنَ الْعَذَابِ وَالنِّيرَانِ وَيُوقِعُ فِي غَضَبِ الرَّحْمَنِ الْكَذِبُ وَالِافْتِرَاءُ وَالْبُهْتَانُ

اللِّسَانُ أَسْرَعُ الْآفَاتِ لِلْإِنْسَانِ وَأَعْظَمُهَا فِي الْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ

وعيد شديد

وَلَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ بِالْإِبْعَادِ عَنْ مَجْلِسِ النَّبِيِّ -ﷺ- يَوْمَ الْمَعَادِ لِمَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ وَلَمْ يُلْجِمْهُ بِلِجَامِ الشَّرْعِ، وَخَاضَ فِيمَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ؛ فَعَنْ جَابِرٍ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ» (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ). وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ.

تَسَاهُلُ الْخَلْقِ

وَاللِّسَانُ سَبُعٌ ضَارٍ وَأَوَّلُ فَرِيسَتِهِ صَاحِبُهُ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ جَرَى بِهَا اللِّسَانُ هَلَكَ بِهَا الْإِنْسَانُ! وَكَمْ مِنْ حَرْفٍ أَدَّى إِلَى حَتْفٍ! وَقَدْ تَسَاهَلَ الْخَلْقُ فِي الِاحْتِرَازِ عَنْ آفَاتِهِ وَغَوَائِلِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ مَصَائِدِهِ وَحَبَائِلِهِ، وَإِنَّهُ أَعْظَمُ آلَةِ الشَّيْطَانِ فِي اسْتِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ لِيُوبِقَ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّ أَلْسِنَتِكُمْ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ ذَلِكَ؛ فَعَنْ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ -رضي الله عنه- قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِكَفِّي فَقَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» يَعْنِي فَرْجَهُ. (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

آفات اللِّسان

إِنَّ آفَاتِ اللِّسَانِ أَسْرَعُ الْآفَاتِ لِلْإِنْسَانِ، وَأَعْظَمُهَا فِي الْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ، وَإِنَّ أَشَدَّهَا ضَرَرًا وَأَعْظَمَهَا جَرِيرَةً وَخَطَرًا، مَا كَانَ مِنْ سَيِّئِ الْكَلَامِ مُتَعَلِّقًا بِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ الْكِرَامِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قَلِيلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَيَسِيرُهُ كَبِيرٌ. ﴿... قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...﴾ (التوبة:٦٥-٦٦).

أَلَا فَلْيَحْفَظْ كُلُّ عَبْدٍ لِسَانَهُ عَنْ قَوْلٍ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَلْيَصُنْ كَلَامَهُ عَنْ أَلْفَاظِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٣).

مَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ فَلْيَحْفَظْ لِسَانَهُ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ وَلْيَصُنْهُ وَيَتَعَاهَدْهُ

الْغِيبَة وَنَقْلُهَا بِالنَّمِيمَة

وَإِنَّ مِنَ الْآفَاتِ الْعَظِيمَةِ: الْغِيبَةَ وَنَقْلَهَا بِالنَّمِيمَةِ؛ فَبِهَا تَحُلُّ فِي الْقُلُوبِ السَّخِيمَةُ، وَتُقَطَّعُ الصِّلَاتُ الْحَمِيمَةُ؛ قَالَ -تَعَالَى-: ﴿...وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا...﴾ (الحجرات:١٢)، وَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ» (أَيِ: الْهَلَاكَ وَالْفَسَادَ) (أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

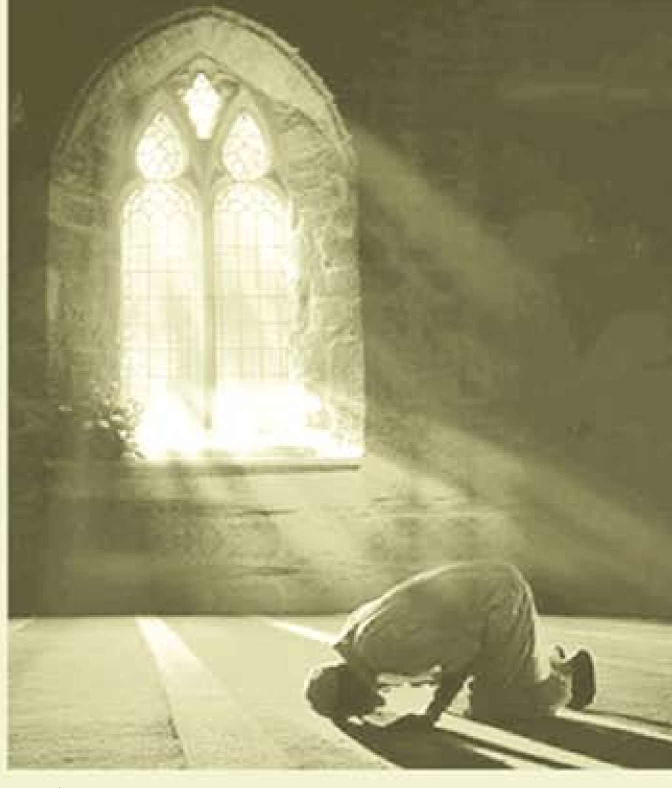
الْكَذِب وَالِافْتِرَاء وَالْبُهْتَان

وَإِنَّ مِمَّا يُدْنِي مِنَ الْعَذَابِ وَالنِّيرَانِ، وَيُوقِعُ فِي غَضَبِ الرَّحْمَنِ؛ الْكَذِبَ وَالِافْتِرَاءَ وَالْبُهْتَانَ، قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-). وَقَالَ -ﷺ-: «وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» (أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا). وَرَدْغَةُ الْخَبَالِ: عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ.

السَّلَامَة لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ

فَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ فَلْيَحْفَظْ لِسَانَهُ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ، وَلْيَصُنْهُ وَيَتَعَاهَدْهُ؛ فَإِنَّ السَّلَامَةَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رضي الله عنه- عَنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).





وقفات مع حديث:
«إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنِ»

إعداد: القسم العلمي بالفرقان

في محاضرة قيّمة له تحدث الشيخ عبد الرزاق عبد المحسن البدر مفصلاً لقول النبي -ﷺ-: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ»، وبين من خلاله أنَّ السعادةَ مَطْلَبُ كلِّ إنسان، وغايةٌ تُنشَدُ وهدفٌ يُطلَب، وكلٌّ يرجو لنفسه السعادةَ ولا يريد لها الشقاء، ومن شأن الفتن عندما تنزل بالناس وتَحلُّ بهم تُربِكُ سعادتَهم، وتُشتِّتُ أذهانهم، وتُقلِقُ قلوبهم، ويلحقهم منها ما يلحقهم من العَنَت، فبيِّن -ﷺ- حال المؤمن ومنّة الله -عز وجل- عليه مع ما يكون في هذه الحياة من فتن وما يلقاه الناس فيها من ابتلاءات، وأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان ودار فتنة واختبار، والمؤمن يلقى ما يلقى فيها، لكنه عظيمُ الصِّلة بربه -عز وجل-، دائمُ الانكسار بين يديه، والالتجاء إليه وحده -سبحانه وتعالى- دون سواه، يؤمِّل منه وحده، ولا يرجو من أحد سواه.

ثم استطرد الشيخ البدر في شرح الحديث فبين أن معنى قوله -ﷺ-: (جُنِّب الفِتَن) أي جنَّبه الله إياها، وسلَّمه منها، ووقاه من شرِّها؛ فإنّ التوفيق بيده والفضل فضله -سبحانه وتعالى-، قال -ﷺ-: (إنّ السَّعيد لَمن جُنِّب الفِتَن)، أي جنَّبه الله الفتن، وهنا لابدّ من استشعارِ عظيم افتقارنا إلى الله -جل وعلا- وشديد احتياجنا إليه في أن يسلِّمنا من الفتن وأن يقينا من شرِّها، وقد ثبت في الصحيح أنّ النبي -ﷺ- قال لأصحابه: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، فقال الصحابة -رضي الله عنهم-: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، وهنا قوله في الحديث: (جُنِّبَ الفِتَن) فيه إشارةٌ إلى هذا المعنى العظيم، ألا وهو: أن تجنيب العبد من الفتن وسلامته منها ووقايته من شرِّها منَّة الله عليه وفضله -سبحانه وتعالى-، وكم هو جميلٌ بالعبد المؤمن أن يكون دائمًا وأبدًا مُستَشعِرًا هذا المعنى المبارك الذي دلَّ عليه هذا الحديث: (جُنِّبَ الفِتَن)! أي جنَّبه الله الفتن ووقاه من شرِّها.

المسلم لا ينبغي له أن يطلب الفتن

وبين الشيخ البدر أن من المعاني المهمة التي يتضمنها الحديث: أنّ المسلم لا ينبغي له أن يطلب الفتن، وأن يُبرز نفسه لها، وأن يقحم نفسه فيها، وأن يورِّط نفسه في إشكالاتها وتبعاتها، وأن يذيق نفسه حرَّها وشررها ونارها ؛ بل المطلوب منه أن يتجنَّبها، وأن يبتعد عنها، وأن يسعى في السلامة من شرورها؛ فتجنّب الفتن هذا مقصد، لا التصدُّر وتوريط النفس فيها؛ بل الإنسان يتعوَّذ ويسأل الله العافية، والعافية لا يعدلها شيء، ومن أوتي العافية فقد أوتي الخير، وقد جاء في أدعية كثيرة عن النبي -ﷺ- سؤال الله -جل وعلا- العافية، فالإنسان يسأل الله العافية والسلامة ولا يعرِّض نفسه للفتن؛ بل يبتعد عنها وتكون هي في جانب وهو في جانب قدر مستطاعه، وهذا مستفاد من قوله: (جُنِّبَ الفِتَن)؛ وتجنُّب الفتن والبُعد منها مَطلَبٌ لابدّ منه، ولابدّ للمؤمن من أن يكون كذلك؛ أن يكون متجنِّبا الفتن، بعيداً عنها، حَذراً من الوقوع فيها، قال: (إن السَّعيد لَمن جُنِّب الفِتَن).

كيف يظفر بهذه السعادة؟

ثم طرح الشيخ سؤالاً: كيف ينال المسلم هذا الموعود العظيم والفضل الكريم المذكور في هذا الحديث عن النبي -ﷺ-؟ وكيف يظفر بهذه السعادة؟ -وقد عرفنا أن السعادة مطلب- كيف يظفر بها؟ وكيف يكون من أهلها؟ إنك وأنت تسمع قوله -ﷺ-: (إن السَّعيد لَمن جُنِّب الفِتَن) لابد وأن يتحرّك في قلبك طمعٌ في أن تكون من أهل هذه السعادة وممن ظفروا بها، فكيف تُنال هذه السعادة التي دل عليها وأرشد إليها النبي الكريم -ﷺ- في هذا الحديث المبارك؟ كيف يُظفر بهذه السعادة وكيف تُنال؟ كيف ينالها المرء المسلم لنفسه؟ وكيف يكون سبباً في وجود هذه السعادة بين أفراد أمته؟

ضوابط مهمة

ثم بين الشيخ البدر نقاطا عظيمة وضوابط مهمة وأسسا مباركة كلُّها مستمدة من كتاب الله -جل وعلا- وسنه نبيه -ﷺ-، وبهذه

الضوابط بإذن الرب -عز وجل- وتوفيقه يظفر المرء بالسعادة ويكون من أهلها.

الضابط الأول: تحقيق تقوى الله -جل وعلا

أما الضابط الأول لتجنب الفتن والسلامة منها: فهو تحقيق تقوى الله -جل وعلا-، وأن يجاهد المسلم نفسه على أن يكون من المتقين، وأن يسلك بنفسه مسالك التّقوى، وأن يجاهد نفسه على تحقيقها والقيام بها، وتأمّل في هذا المعنى قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣)، تأمّل قوله: ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ أي من كل بلاء وفتنةٍ وشرٍّ، والآية ظاهرة الدلالة على أنّ تحقيق التقوى سبيلُ النجاةِ من الفتن وتجنُّبها، ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾، أي مَخرجاً من كلِّ بليَّةٍ وفتنةٍ وشرٍّ؛ فإذا أردتَ أن تُجنَّب الفتن فعليك بتقوى الله -عز وجل-، اتقِ الله أينما كنت يجنِّبك الله الفتن ويقيك مِن شرِّها، لا تعتمد على حِذقك وشطارتك ونباهتك؛ وإنما اعتمد على الله وعليك بتقواه، فإنّ مَن اتقى الله وقاه وأرشده إلى خير أمور دينه ودنياه، والأمور كلها أزمَّتها بيد الله، والتوفيق بيده، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أعظم الأسس

فمِن أَعظَم أُسُس اجتناب الفتن تحقيق التقوى، ولما حدثت الفتنةُ زمن التابعين أتى نفرٌ إلى طلق بن حبيب -رحمه الله وهو من علماء التابعين- وقالوا له: قد وقعتْ الفتنةُ فكيف نتّقيها؟ قال: «اتقوها بالتقوى»، قالوا: أجمل لنا ذلك، أي بيِّن لنا التقوى بياناً مُجمَلاً، قال: «تقوى الله: أن تعملَ بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله»؛ وبهذا يُعلَم أنّ تقوى الله -جل وعلا- ليست كلمة يقولها المرء بلسانه أو دعوة يدَّعيها؛ وإنما تقوى الله -جل وعلا- أمرٌ مستكنٌّ في باطن المؤمن ظاهرٌ على جوارحه، قلبه مستقيمٌ على طاعة الله مُذعنٌ مُنقاد لأمر الله وجوارحه مطاوعة، قد قال -ﷺ-: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»،

المسلم لا ينبغي له أن يطلب الفتن وأن يُبرز نفسه لها وأن يقحم نفسه فيها

من يريد أن يتقي الله جل وعلا حقّاً فعليه بالعلم فإنه الزاد العظيم للتقوى

وقال -ﷺ-: «التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَّاتٍ».

إصلاحٌ للباطن يَصلح به الظاهر

فتقوى الله -جل وعلا- إصلاحٌ للباطن يَصلُح به ظاهر الإنسان ويستقيم، وهي فعل للأوامر وترك للنواهي كما قال طَلْق رحمه الله: « أن تعمل بطاعة الله »، ثم قال: «وأن تترك معصية الله» فهي فعلٌ للأمر وتركٌ للنهي؛ وعليه فالمسلم يكون في هذا شأنه دائماً في حياته كلها، وإذا عَظُمت الفتن عَظُم إقبالُه على الله -عز وجل- فعلاً لأوامره وتركاً لنواهيه، يُقبِل على الصلاة وعلى العبادة وعلى الصدقة وعلى الإحسان وعلى البر وفي الوقت نفسه يُجانِب المعاصي ويبتعد عنها ويحذر من الوقوع فيها، وقد جاء في الحديث الصحيح أنّ النبي -ﷺ- قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ».

الفتن تحتاج إلى عبادة

إذاً الفتن تحتاج إلى صلاة، إلى عبادة، إلى عملٍ بطاعة الله -جل وعلا-، إلى بُعدٍ عن المحرمات، وجاء في حديث آخر أنّ النبي -ﷺ- قال: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ» وهذا يبيِّن لنا أن المسلم يحتاج في أوقاته كلِّها

في أوقات الفتن لابد من الإقبال على الله تعالى وعلى طاعته والحفاظ على أوامره والابتعاد عن نواهيه

وحياته جميعها أن يكون مقبلاً على عبادة الله وعلى طاعته محافِظاً على أوامره مبتعداً عن نواهيه، فإذا كان كذلك شأنه مع الله -جل وعلا- حَفظَه الله ووقاه، أليس قد قال النبي -ﷺ-: «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».

التقوى تحتاج إلى علم

ثم أكد الشيخ البدر أنَّ العمل بالطاعة والبعد عن المعصية الذي هو التقوى لابدّ فيه من العلم، ولهذا قال طلق فيهما: «على نورٍ من الله»، تعمل بالطاعة على نور، وتترك المعصية على نور، وهذا يدلُّنا أنّ من يريد أن يتقي الله -جل وعلا- حقّاً فعليه بالعلم، فإنه الزاد العظيم للتقوى، وإلا فإن الأمر كما قال بعض السلف: «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟!»، الذي لا يدري ما الذي يُتقى، وما الذي يُجتنب وما الذي يُحذَر منه، كيف تقع منه التقوى على وجهها الصحيح؟! ولهذا لابدّ من العلم؛ العلم بالمأمورات لتُفعل، والعلم بالمنهيات لتُترك وتُجتنب، تَعرف الطاعة لتكون من أهلها، وتَعرف المعصية لتبتعد منها ومن شرِّها، ولهذا قال طلق رحمه الله: «على نورٍ من الله».

الثواب والعقاب

ثم تكون في فعلك للطاعة وتركك للمعصية راجياً للثواب خائفًا من العقاب، لأنك ستقف أمام الله -جل وعلا- يوماً يسألك فيه عما قدَّمت في هذه الحياة، ثم يجازي -سبحانه وتعالى- المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فأنتَ تكون راجياً - أي لثواب الله -، وخائفاً -أي من عقابه-، كما قال الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (الإسراء:٥٧)، فهذه تقوى الله -جل وعلا- التي مَن لزمها وكان من أهلها وتحقَّق بأوصافها جُنِّبَ الفتن بإذن الله -عز وجل.

دروس مستفادة
من صلح الحديبية (١٠)

مقاومة اليأس والإحباط وبث الأمل

م. أحمد الشحات
كاتب وباحث مصري

سطَّر القرآن الكريم الدروس والفوائد التي تضمنها صلح الحديبية في ثنايا سورة الفتح، وقد جعل -الله -تعالى- ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه، كما روي عن ابن مسعود، -رضي الله عنه-، وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية، واليوم مع الدرس التاسع وهو الصحابة هم الأساس الذي قام عليه صرح الإسلام.

سطَّر القرآن الكريم الدروس والفوائد التي تضمنها صلح الحديبية في ثنايا سورة الفتح، وقد جعل الله -تعالى- ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه، كما روي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية. واليوم مع الدرس العاشر وهو مقاومة اليأس والإحباط وبث الأمل.

ختمت سورة الفتح بخاتمة عظيمة، تفتح آفاق الأمل وأبواب الرجاء لهذا الجيل العظيم من الصحابة ولمن جاء بعدهم، ولترسخ الحقيقة الثابتة التي لا تتخلف من أن وعد الله صادق، وأن النصر لأوليائه من المؤمنين وإن طال بهم الزمان، ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٧ - ٢٨).

يقين الصحابة -رضوان الله عليهم

قال ابن كثير: - «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أري في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت؛ فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟» قال: لا. قال: «فإنك آتيه ومطوف به». وبهذا أجاب الصديق -رضي الله عنه-، أيضا حذو القذة بالقذة؛ ولهذا قال -تعالى-: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله﴾، وهذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء.

مهما صال الباطل وجال ومهما طالت به الحياة فإنه إلى زوال ونهاية

ينبغي للمسلم أن يوقن تمام اليقين بأن إرادة الله غالبة ومشيئته نافذة

إثبات الأمن وعدم الخوف

وقوله: ﴿آمنين﴾ أي: في حال دخولكم، وقوله: ﴿لا تخافون﴾: حال مؤكدة في المعنى، فأثبت لهم الأمن حال الدخول، ونفي عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد. وقوله: ﴿فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ أي: فعلم الله -تعالى- من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا أنتم، ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي: قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي -صلى الله عليه وسلم-، ﴿فتحا قريبا﴾: وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين.

تبشير المؤمنين بالنصر

ثم قال -تعالى-، مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- على عدوه وعلى سائر أهل الأرض: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ أي: بالعلم النافع والعمل الصالح؛ فإن الشريعة تشتمل على أمرين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها

حق وإنشاءاتها عدل، ﴿ليظهره على الدين كله﴾ أي: على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم ومليين ومشركين، ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ أي: أنه رسوله، وهو ناصره»، فوعد الله صادق وإن تأخرت معالمه أو أماراته، وينبغي للمسلم أن يوقن أن إرادة الله غالبة ومشيئته نافذة كما قال تعالى:- ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ٧). فالله -عز وجل- قدر على النبي -ﷺ- وأصحابه أن يرجعوا عن البيت، وهم أحق الناس به، وليس هذا الأمر مرده إلى العجز أو الضعف أو الجبن، فلله في السماوات والأرض جنود لا يعلمها إلا هو -عز وجل-، ولو سلطها على أعداء أوليائه ورسله لأبادوهم عن بكرة أبيهم في لحظات معدودة.

وقد هلكت أقوام قبل ذلك بحشرات ضعيفة حقيرة مثل الضفادع والقمل وغيرها، ولكن الله عليم فيما يقدره، حكيم في أفعاله، يقول ابن كثير: - «لو أرسل الله عليهم ملكا واحدا لأباد خضراءهم، ولكنه -تعالى- شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال، لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة، والبراهين الدامغة، ثم قال مؤكدا لقدرته على الانتقام من الأعداء (أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين): ﴿ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما﴾».

النهاية القوية والبشارة الرائعة

بهذه النهاية القوية وتلك البشارة الرائعة خُتمت السورة، لتبقى النفوس مستبشرة، والقلوب مطمئنة بنصر الله وبصدق وعده، وأنه مهما صال الباطل وجال، ومهما طالت به حياة، فإنه إلى زوال ونهاية، فالله -عز وجل- وعد أن النصر النهائي والجولة الأخيرة للمؤمنين، وهذا أمر تكرر كثيراً قبل ذلك كما حكى الله عن بني إسرائيل في صراعهم مع فرعون:- ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

زاد الداعية في سورة طه

إن القرآن هو المصدر الأول للتشريع، فهو كتاب نور وحياة ومنهاج، أنزله العزيز الحكيم من فوق سبع سماوات، نزل على القلوب لإحيائها، وأحق الناس للانتفاع به: الدعاة وأهل الصلاح، بالتفكر في معانيه وتدبر آياته، ومع زاد الداعية من خلال آية في سورة طه، حوت الكثير والكثير من المعاني، قال الله -تعالى-: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (طه:٤٢)، ولنا مع هذه الآية وقفات.

(اذْهَبْ)

دعوة للحركة والنشاط في نشر الدعوة، وتبليغ رسالة رب العالمين إلى الناس جميعًا بحسب الطاقة والمقدرة، ولنا في رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- الأسوة والقدوة في الدعوة في الأسواق والمنتديات، وأندية قريش حتى في موسم اجتماع الناس، كموسم الحج الذي كان خير شاهد على ذلك، ومَن كثرة تنقله تعجب المشركون، ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (الفرقان٧)، وحين ضُيِّق عليه في الدعوة بمكة خرج إلى الطائف، وحين اشتد الضيق والأذى كانت الهجرة للمدينة، فدعوته لم تتوقف وسعيه لم ينقطع.

(أَنتَ وَأَخُوكَ)

ما أحوج الداعية إلى العمل الجماعي! إلى مَن يؤنسه في طريق الخير والدعوة إلى الله، حين كُلِّف موسى -عليه السلام- بالرسالة شعر باحتياجه لمَن يسانده في تلك المهمة العظيمة فسأل ربه: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه:٢٩-٣٢)، فكانت أعظم شفاعة في الدنيا؛ إذ طلب النبوة لأخيه للمعاونة على الطاعة والتبليغ عن الله، وجاء الأمر في القرآن بالتعاون على البر والتقوى، فالعمل الجماعي أرجى وأنفع، فالتكاتف في سدِّ الرقع في سفينة الأمة يحتاج إلى التخصص والتنوع، فما أكثر الثغور، وما أقل الحراس!

(بِآيَاتِي)

الربانية في الدعوة إلى الله، والبصيرة التي ذكرها الله في كتابه: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨)، الوحي نور ما أسرع تسلله للقلوب! وأعظم تأثيرًا من كلام البشر حين تكلَّم عتبة بين يدي رسول الله مرغِّبًا ومرهِّبًا النبي لترك الدعوة والانشغال عنها بالمال والنساء والمُلك، قرع أذنيه بفواتح سورة فصلت فوقف الطاغية وقد تزلزلت أركانه، قد غرَّ فاه يناشده الله والرحم أن يسكت عائدًا إلى قومه بوجهٍ غير الذي ذهب به، واصفًا ما سمع بأن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه يعلو وما يُعلى.

(وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: «لا تبطئا»، وقال مجاهد عن ابن عباس: «لا تضعفا»، والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عونًا لهما عليه، وقوة لهما، وسلطانًا كاسرًا له، فمع القيام بحق الدعوة إلى الله، يحتاج المرء إلى زادٍ في طريقه الشاق، وما يعينه في طريقه من أذى الناس؛ لذلك كان الأمر للنبي -ﷺ- في أوائل ما نزل من القرآن: ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ (المزمل:٢)، سبحان الله! لم ينزل من القرآن سوى بضع آيات، ويأتي الأمر بالعبادة في خضم الدعوة إلى الله، وكأن هذا زاده وفي هذا العون على تحمل مشاق الدعوة وصعابها، بل الذكر زاد في تحمل مشاق الحياة.



من فضائل آية الكرسي

الشفاعة لا تكون إلا لمن رضي الله قوله وعمله وهم أهل التوحيد والإيمان

فالح العجمي

إن في سور القرآن الكريم وآياته من الخير والبركة ما دلنا عليه النبي -ﷺ-، ومن ذلك آية الكرسي، هذه الآية العظيمة المباركة التي أخبر عنها النبي -ﷺ- أنها أعظم آية في القران الكريم، ففي صحيح مسلم عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر»، وكانت أعظم آية لما اشتملت عليه من الأسماء الحسنى والصفات العلا لله -تعالى-، ونفي النقائص عنه -سبحانه وتعالى.

قال النووي في شرح مسلم: قال العلماء: «إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة، وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات». اهـ

فضائل آية الكرسي

ولقد أخبر النبي -ﷺ- عن فضائلها، وذكر منها أنَّ من قرأها في دبر كل صلاة بعد أن يذكر الله ويسبح ويهلل فإنها تكون سببًا في دخوله الجنة، قال النبي -ﷺ-: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»، ومنها أيضًا أنها سبب من أسباب حفظ الله -عز وجل- للعبد؛ فإن الإنسان يذكرها في أذكار الصباح وأذكار المساء، وكذلك في أذكار النوم، فإن النبي -ﷺ- قال: «من قرأ آية الكرسي في الليل كان عليه من الله حافظًا، أي ملك يرسله الله -سبحانه وتعالى- إلى هذا الإنسان الذي قرأ هذه السورة فيحفظه من الشرور بأنواعها، شياطين الإنس والجن ومن الدواب والهوام حتى يصبح، ومن قرأها في النهار حفظه الله وأنزل عليه حافظًا من الملائكة يحفظه من كل الشرور حتى يمسي».

معان عظيمة

وقد اشتملت هذه الآية على معاني عظيمة من جهة توحيد الله وإثبات أسمائه وصفاته، وعموم علمه وقدرته -جل وعلا-، فقوله -سبحانه-: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة:٢٥٥) فهذا معنى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، فإن معناها: الله لا إله إلا هو، يعني: لا معبود بحق إلا هو، والإله هو المعبود، والتأله هو التعبد، فمعنى لا إله أي: لا مألوه، والمألوه معناه المعبود، أي: لا معبود بحق إلا الله وهو الحي القيوم -سبحانه وتعالى-، الحي الذي لا يموت، ولا يعتريه سنة وهي النعاس، ولا نوم وهو ما فوق النعاس، لكمال حياته، فلا نوم ولا موت ولا نعاس ولا غفلة، بل هو في غاية من العلم والقدرة والبصيرة بأحوال العباد -سبحانه وتعالى-، فهو -سبحانه وتعالى- حي حياة كاملة لا يعتريها نقص ولا ضعف ولا غفلة ولا نوم ولا نعاس ولا موت ولا غير ذلك من الآفات.

القيوم

القيوم أي القائم على أمر عباده والمقيم لهم سبحانه، وهو المقيم لمخلوقاته وهو الحافظ لمخلوقاته، فلا قوام للعباد ولا للمخلوقات إلا به -سبحانه وتعالى-، فهو الذي أقام السماوات وأقام الأرض وأقام كل شيء، كما قال -سبحانه-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (الروم:٢٥)، فهو المقيم للخلائق والحافظ لها والموجد لها والمعدم لها فهو على كل شيء قدير -سبحانه وتعالى.

﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾

﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة:٢٥٥) يعني: لا تصيبه ولا تعتريه سنة وهي النعاس وهي النوم الخفيف، ولا نوم وهو النوم الثقيل، فلا يعتريه غفلة ولا نعاس ولا نوم ولا موت، بل حياته كاملة



اشتملت آية الكرسي على توحيد الله وإثبات أسمائه وصفاته وعموم علمه وقدرته جل وعلا

-سبحانه وتعالى-، ثم قال -سبحانه وتعالى-: {لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} (البقرة:٢٥٥) يعني: هو المالك لكل شيء، هو المالك للسماء وما فيها، والأرض وما فيها.

{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}

ثم قال -سبحانه-: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (البقرة:٢٥٥) أي: لا أحد يستطيع أن يشفع إلا بإذنه -سبحانه-، يعني: يوم القيامة لا يتقدم أحد يشفع حتى النبي محمد -ﷺ- إلا بإذنه، حتى يأذن له، وما ذاك إلا لعظم مقامه وجبروته، وكونه -سبحانه- المستحق لأن يعظم ويجل، وألا يتقدم بين يديه إلا بإذنه -سبحانه وتعالى-، فإذا اشتد الكرب يوم القيامة بالناس فزع المؤمنون إلى أبيهم آدم ليشفع لهم إلى الله حتى يقضي بينهم، فيعتذر آدم ثم يحيلهم على نوح، فيأتون نوحاً فيعتذر -ﷺ- ويقول: اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيعتذر ويقول: اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيعتذر وكل واحد يقول: نفسي نفسي، فيقول لهم موسى: اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقول: نفسي نفسي اذهبوا إلى محمد -ﷺ-، فيأتون محمداً -ﷺ- فيقول: أنا لها -ﷺ-، ثم يتقدم فيسجد بين يدي ربه، ويحمد بمحامد عظيمة ويثني عليه -سبحانه- بمحامد يفتحها عليه، ثم يقال له: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فعند ذلك يشفع -ﷺ- في الناس أن يقضي الله بينهم، فيقضي الله بين عباده بشفاعته، ثم بعد القضاء يصير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} (الشورى:٧)، ويوقف أهل الجنة لا يدخلونها حتى يشفع فيهم -ﷺ-، فيشفع لأهل الجنة حتى يفتح لهم أبوابها بشفاعته -ﷺ-، أما في الدنيا فكل إنسان يدعو ربه مأمور بالدعاء كما قال -تعالى-: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (غافر:٦٠)، كونه يدعو ربه ويسأله أن يغفر له ويدخله الجنة وينجيه من النار، ويطلب من إخوانه الدعاء له بالمغفرة فلا بأس بهذا، لكن يوم القيامة لا أحد يتقدم إلا بإذنه -سبحانه وتعالى-، الأنبياء وغيرهم لا أحد يشفع إلا بإذنه -سبحانه وتعالى-: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (البقرة:٢٥٥).

الشفاعة لأهل التوحيد والإيمان

فالشفاعة لا تكون إلا لمن رضي الله قوله وعمله، وهم أهل التوحيد والإيمان، هم الذين يشفع فيهم الأنبياء، أما أهل الشرك فلا شفاعة لهم، كما قال -تعالى-: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} (المدثر:٤٨)، وقال -تعالى-: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} (غافر:١٨) الظالمين: يعني: المشركين، فالظلم إذا أطلق هو الشرك: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (لقمان:١٣) فمعنى قوله -سبحانه-: {مَا لِلظَّالِمِينَ} (غافر:١٨) يعني: ما للمشركين {مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} (غافر:١٨) فالمشرك لا تنفعه الشفاعة ولا يشفع فيه الرسول -ﷺ- ولا المؤمنون، بل ليس له إلا النار يوم القيامة، نعوذ بالله من ذلك، وإنما الشفاعة لأهل التوحيد والإيمان ولعصاة الموحدين، أما الشفاعة في أهل الموقف فهي عامة لأهل الموقف كلهم من الكفار وغيرهم في أن يقضى بينهم، فهذه شفاعة عامة في القضاء بين الناس، يشفع فيهم النبي -ﷺ- للقضاء بينهم، فيقضي الله بينهم -سبحانه- بحكمه العدل -جل وعلا- كما تقدم.

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}

ثم قال -سبحانه-: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} (البقرة:٢٥٥) يعني: هو العالم بأحوال عباده، لا يخفى عليه خافية -جل وعلا-، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما مضى وما يأتي، ويعلم أحوال عباده الماضين والآخرين، ويعلم كل شيء -سبحانه وتعالى-: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (الأنفال:٧٥)، وقال -تعالى-: {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء} فهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما أطلعهم عليه -سبحانه وتعالى-، أما هو فهو العالم بأحوال عباده كلهم ماضيها ولاحقها، يعلم أحوالهم وما صدر منهم وما ماتوا عليه وما لهم في الآخرة، يعلم كل شيء -سبحانه وتعالى-، قال -تعالى-: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} (الطلاق:١٢)، ويقول هنا: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} (البقرة:٢٥٥) فهم لا يعلمون ما عنده إلا بتعليمه -سبحانه وتعالى- بإطلاعه لهم على يد الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، أو بما يجري الله لهم في الدنيا من مخلوقات وأرزاق وأشياء يطلعهم عليها -سبحانه وتعالى.

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ}

ثم قال: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ} (البقرة:٢٥٥) الكرسي: مخلوق عظيم فوق السماء السابعة غير العرش، قال ابن عباس: هو موضع القدمين قدمي الرب -سبحانه وتعالى-، وقال بعض أهل العلم: إنه العرش؛ لأن العرش يسمى كرسي، والمشهور الأول: أنه مخلوق عظيم فوق السماء السابعة غير العرش الذي هو عرش الله -سبحانه وتعالى- يعني فوقه الله -سبحانه وتعالى-، المذكور في قوله -سبحانه-: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه:٥)، وفي قوله -جل وعلا-: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} (الأعراف:٥٤) في سبعة مواضع من كتاب الله، ذكر فيها استواءه على العرش -سبحانه وتعالى-، وهو مخلوق عظيم قد أحاط بالمخلوقات وهو سقف الجنة، قال فيه -جل وعلا-: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} (الحاقة:١٧) يعني: يوم القيامة.

{وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا}

{وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا} (البقرة:٢٥٥) يعني: لا يكرث الرب ولا يثقله ولا يشق عليه حفظ المخلوقات -سبحانه وتعالى- هو الحافظ للسماوات وهو الحافظ للأرض وما فيهما، ولا يشق عليه ذلك ولا يكرثه ولا يثقله -سبحانه وتعالى-؛ لأنه القادر على كل شيء، ولهذا قال سبحانه: {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا} (البقرة:٢٥٥) يعني: لا يكرثه ولا يثقله ولا يشق عليه، بل هو القادر على كل شيء -سبحانه وتعالى.

{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}

{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (البقرة:٢٥٥) له العلو المطلق، علو الذات فوق العرش، وعلو القهر والسلطان، وعلو الشرف والقدر -سبحانه وتعالى-، فله العلو الكامل -سبحانه وتعالى-، فهو العالي فوق جميع خلقه -جل وعلا- فوق العرش، وهو العالي من جهة كمال أسمائه وصفاته وسلطانه وقدرته -جل وعلا-، وله الشرف والفضل، فهو أفضل شيء وأشرفه، فله علو القهر والسلطان وعلو الشرف والقدر وعلو المكان -سبحانه وتعالى- فوق العرش، قال -تعالى-: {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} (غافر:١٢) وقال -تعالى- هنا: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (البقرة:٢٥٥) فهو العلي فوق خلقه، القادر على كل شيء، العظيم السلطان، المتصرف في عباده كيف يشاء، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، فله العظمة الكاملة -سبحانه وتعالى-، فلا أعظم منه ولا أكبر ولا أعلم ولا أقدر منه -سبحانه وتعالى.

السعادة في السنة النبوية

أثر الاستخارة في طمأنينة القلب وعلاج القلق

د. سندس عادل العبيد

عضو هيئة التدريس بجامعة الكويت - كلية الشريعة

ما زال حديثنا مستمرا عن سيكولوجية السعادة في السنة النبوية، واليوم نتحدث عن أثر الاستخارة في طمأنينة القلب وعلاج القلق، فالاستخارة نعمة من الله أنعم بها -سبحانه- على العباد، فكم من أمر احتار به العبد وحزن وضاق، ثم استخار الله -تعالى- وهو العالم بكل الأمور خيرها وشرها، ففتح الله له الخير أينما كان.

والاستخارة هي طلب الخيرة في الأمر الذي يريده العبد كما علمنا رسول الله -ﷺ- بالصلاة والدعاء المعروفين، ومن استخار الله حصلت له السعادة والراحة والطمأنينة والرضا، فقد فوض أمره واختياره لله -سبحانه- الذي يعلم الأصلح له، فهدأت نفسه وسكنت واكتملت سعادتها، ومن سعادة ابن آدم أيضًا رضاه بما قضى الله له من خير أو غيره فإنه لا يقضي -تعالى- لعبده إلا بكل خير وإن كان شرًّا في ظاهره.

من علامة سعادة العبد

والرضا بقضاء الله وهو ترك السخط علامة سعادة العبد، وإنما كان علامة سعادة العبد لأمرين: أحدهما: ليتفرغ للعبادة؛ لأنه إذا لم يرض بالقضاء، يكون أبدا مهموما مشغول القلب بحدوث الحوادث، ويقول: لم كان كذا ولم لا يكون كذا؟ والثاني: لئلا يتعرض لغضب الله -تعالى- بسخطه، وسخط العبد أن يذكر غير ما قضى الله له ويظن أنه أصلح وأولى.

التخلص من العناء النفسي

وقد كان النبي -ﷺ- يدرب المسلمين على التخلص من العناء النفسي، وعلى التوكل والرضا في كل الأمور، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي، فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي. قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ.

ففي حالة القلق يعلم النبي -ﷺ- أمته دعاء الاستخارة بارجاع الامر لعلم الله وفضله، ولا سيما عند اتخاذ القرار؛ حيث الحيرة والهم، وفي قوله -ﷺ-» فرضني به» غاية السعادة والطمأنينة والسكينة، قال ابن القيم: «فتأمل كيف وقع المقدور مكتفًا بأمرين: التوكل الذي هو مضمون الاستخارة قبله، والرضا بما يقضي الله له بعده، وهما عنوان السعادة».

الضوابط الفقهية للأعمال الوقفية

وجوب المبادرة بصرف الرّيع إلى المستحقّين

كتب: د. عيسى القدومي

باب الوقف من الأبواب المهمة التي ينبغي تقرير ضوابطه، ذلك أن عامة أحكام الوقف اجتهادية فلا مناص من الانطلاق في تقريرها من أصول الشريعة العامة الضابطة لباب المصالح والمنافع على وجه الخصوص ثم من القواعد الفقهية الكلية ثم يترجم ذلك كله على هيئة ضوابط خاصة في باب الوقف، وهذا ما نتناوله في هذه السلسلة، واليوم مع الضوابط المتعلّقة بصرف ريع الوقف والضابط الضابط الثالث وهو: وجوب المبادرة بصرف الرّيع إلى المستحقّين.

المستحقّون: هم الذين شَرَطَ الواقف أن يكون الرّيع أو المنفعة أو الانتفاع لهم، أو الذين يقضي الشّرع باستحقاقهم إذا لم يشترط الواقف شيئًا وجعل وقفَه مطلقًا، والمبادرة: المسارعة، وهي ضدّ التلكُّؤ والتأخير، قال المقّري: «حقوق العباد على الفور، لاحتياجهم إليها».

عمارة الوقف مقدّمةٌ على غيرها

وإذا كان كذلك، فقد قال القرافي: «ويُقَدَّمُ الفوريُّ علـى المُـتـراخـي، لأنّ الأمـر بالتعجيل يقتضي الأرجحيّة على ما جُعل له تأخيرُه»، وقد سبق بيان أنّ عمارة الوقف مقدّمةٌ علـى غـيـرهـا وإن لم يشترطها الواقف، وعليه فـإذا انـقـضـت العمارة الضروريّة، واستقام شأن الوقف، فإنّه لا يبقى إلّا أنصبة المستحقّين وأرزاقهم، ولا مسوّغ شرعاً لتأخيرها من غير داعٍ أو عذرٍ يقتضي ذلك، بل هذا من الإجحاف والظّلم البيّن.

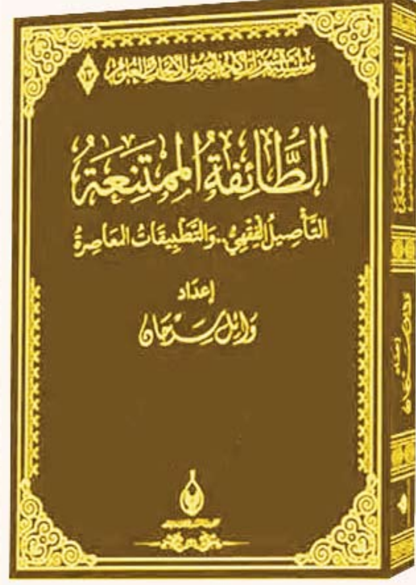
تطبيقات القاعدة

لا بدّ من فصل الجهات المسئولة عن الصّرف في المؤسسات الوقفية، عن الجهات المسئولة عن التنمية والاستثمار، لأنّ العادة أنّ كلّ صاحب اختصاص يحتاط لاختصاصه، ويبالغ في حماية نطاق عمله من الخلل، فإذا تمّ تحديد النِّسَب بين الاستثمار والصّرف، وتمّ تحديد نِسَب الصّرف والتوزيع ما بين العمارة وأنصبة المستحقّين، وارتبط ذلك بلوائح إداريّة واضحة، ضمنت المؤسسة قيامها بوظيفة النّظارة على أكمل وجه.



تعريف بكتاب: (الطائفة الممتنعة) التأصيل الفقهي.. والتطبيقات المعاصِرة

إعداد: محمود عبد الحفيظ البرتاوي



تأتي أهمية هذا الكتاب الذي بين أيدينا: (وثيقة المدينة... ملامح ومعالم) لمؤلفه د. ياسر حسين محمود، من جهة كونه يتناول قضية عظيمة الأهمية، لا تزال الأمم والدساتير المعاصرة حائرة تائهة فيها، وقلَّ مَن تعرض لها بالشرح والإيضاح بعلم وفقه دقيق موافق لأحكام الشريعة المطهرة، ألا وهي قضية التعايش بين المسلمين وبعضهم في أوطانهم وبين الطوائف الأخرى المفارقة لهم في دينهم، والحقوق والواجبات التي ينبغي اعتبارها. كما أن الكتاب يستعرض لنا كيف كانت السياسة الشرعية النبوية في مراحل الدعوة الإسلامية المختلفة؟ ومراعاة القضايا الشرعية المختلفة، ومنها: (قضية النسخ)، فإن التشريعات النبوية قد بلغتْ حدًا من التنوع والتعدد لابد من فهمه، وفهم علله، كما يبيِّن الكتاب طريقة أهل العلم في فهم النصوص الشرعية، وكيف يتم التعامل معها؟

أهمية الكتاب

هذا الكتاب من الأهمية بمكانٍ لأمور:

أولًا: عدم وجود مصنف مستقل يتناول هذه القضية -مع كونها سبب فرقة وتقاتل بين المسلمين-؛ لا من القدامى ولا من المعاصرين؛ حاشا فتاوى شيخ الإسلام -رحمه الله.

ثانيًا: تناول الكتاب هذه القضية بالتفصيل والاستقصاء لما يتعلق بماهيتها ومباحثها ومقاصدها، ومسائلها، وأحكامها، فجاء كتابًا شاملًا فريدًا في بابه.

ثالثًا: ذكرَ الكتاب التطبيقات المعاصرة للطائفة الممتنعة، وهل يدخل فيها بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة أو بعض الدول؟

مميزات الكتاب

تميَّز هذا الكتاب بأمورٍ عدة، منها:

- أنه اعتنى بتحرير مقصد شيخ الإسلام ابن تيمية بـ(مصطلح الطائفة الممتنعة) من خلال جمع كلامه الذي يتعلق بهذه المسألة مِن كتبه، ووضعها في سياقها مع كلام الأئمة الأعلام وفقهاء الإسلام -رحمهم الله.
- جمعَ المسائل التي يمكن أن تتعلق بماهية (الطائفة الممتنعة) وأحكامها، وبيان كلام أهل العلم فيها وفهمهم لها.
- بيَّن أصناف الطائفة الممتنعة، ومَن يدخل ضمن هذا الوصف، ومَن لا يدخل.

مباحث الكتاب

بدأ المؤلف كتابه بمقدمةٍ نفيسةٍ تكلم فيها عما أثارته مسألة (الطائفة الممتنعة) من جدلٍ واسعٍ بيْن جموع المنتسبين إلى العمل الإسلامي، وأسباب ظهور الفكر التكفيري، ووقوع الخلاف بيْن الجماعات المعاصرة حول مفهوم الطائفة الممتنعة، وإصدار الحكم عليها، ثم تطرَّق المؤلف إلى الكلام عن مظان وجود مصطلح (الطائفة الممتنعة) في كلام أهل العلم عامة (مِن القدامى والمعاصرين)، وفي كتب شيخ الإسلام ابن تيمية خصوصا.

وجاء الكتاب مؤلَّفًا مِن فصلين كبيرين، الفصل الأول من الكتاب اشتمل على ثلاثة مباحث، اشتمل كل منها على مطالب.

المبحث الأول

اشتمل المبحث الأول على مطلبين المطلب الأول: أفرده المؤلف لتعريف الطائفة الممتنعة لغة واصطلاحًا، وتعريف كلٍّ من: (طائفة)، و(ممتنعة)، والمطلب الثاني: ذكر فيه المصنِّف تعريفًا مقترحًا (للطائفة

جمعَ الكتاب المسائل التي يمكن أن تتعلق بماهية (الطائفة الممتنعة) وأحكامها، وبيان كلام أهل العلم فيها وفهمهم لها

الممتنعة) اصطلاحًا.

المبحث الثاني

أما المبحث الثاني فقد خصصه المؤلف لبيان المراد بالامتناع، وما يثبت به وصف الطائفة الممتنعة، وقد اشتمل هذا المبحث على خمسة مطالب، تضمن كل منها مسائل.

المطلب الأول

جاء المطلب الأول بعنوان: (الامتناع بمعنى الترك)- ومن مسائله:

١- أنواع الامتناع (الترك).

٢- الفرق بيْن المنع والامتناع.

٣- الفرق بيْن الامتناع والجحود والإباء والاستكبار.

٤- هل الامتناع هو التبديل؟

٥- هل يدل القتال على الترك (على الكفر)؟

٦- هل يشترط لتحقق الامتناع التصريح بعدم الالتزام؟

٧- الامتناع عن طاعة الإمام وبيعته.

وقد تناول في هذه المسألة السابعة نقاطا عدة:

- النقطة الأولى: أنواع الامتناع عن طاعة الإمام.
- النقطة الثانية: البغاة وتعريفهم.
- النقطة الثالثة: الخوارج وتعريفهم وسماتهم.
- النقطة الرابعة: الاختلاف في حكم الخوارج.
- النقطة الخامسة: فروق مهمة بيْن الخوارج والبغاة، وبيْن الخروج على الإمام والخروج عن الشريعة.
- النقطة السادسة: الامتناع عن بيعة الإمام.
- النقطة السابعة: وفيها: الامتناع، والتلازم بيْن الظاهر والباطن.

المطلب الثاني

أما المطلب الثاني: فخصصه المؤلف للكلام على البغاة والطائفة الممتنعة في لسان الفقهاء.

المطلب الثالث

جاء بعنوان: (الطائفة الممتنعة عند شيخ الإسلام -رحمه الله)، وقد خصصه لتوضيح رؤية شيخ الإسلام للطائفة الممتنعة، وتناول فيه استنباطات خطأ لبعض الجماعات مِن كلام شيخ الإسلام وتوضيح صوابها، والفرق بيْن البغاة والطائفة الممتنعة عند شيخ الإسلام -رحمه الله.

المطلب الرابع

المطلب الرابع خصصه المؤلف للكلام عن الشوكة بوصفها شرطا لحصول وصف (الطائفة الممتنعة)، وبيان ما تحصل وتتحقق به (الشوكة) وشروطها، كما تناول بعض الأمور المعاصرة، وهل يتحقق بها الشوكة أم لا؟ مثل:

١- اللجوء السياسي.

٢- التجنس بجنسية دولة أخرى.

٣- الامتناع بقانون وسلطان دولة.

٤- الامتناع باللسان (الآلة الإعلامية).

ثم تكلم المصنف في هذا المطلب أيضًا عن مسألة: هل يشترط وجود الإمام لثبوت وصف الطائفة الممتنعة؟ وأجاب عن ذلك. وتكلم كذلك عن الامتناع بالقوة والامتناع بالفعل، وحالات الطائفة الممتنعة للامتناع.

المطلب الخامس

جاء المطلب الخامس بعنوان: (توفر القصد)، وذكر فيه المؤلف الفرق بيْن العصيان وقصد العصيان، كما تناول فيه بالبحث: هل الكفار يدخلون ضمن الطوائف الممتنعة أم لا؟

الفصل الثاني

تضمن الفصل الثاني مِن الكتاب مبحثين، اشتمل كل منهما على مطالب عدة:

أما المبحث الأول فكان عن حكم الطائفة الممتنعة ومناقشة دعوى الإجماع على كفرها، وأورد فيه المؤلف المطالب الآتية:

المطلب الأول: حكم الخوارج.

المطلب الثاني: مانعو الزكاة في عهد الصديق -رضي الله عنه.

المطلب الثالث: تحقيق مذهب أحمد فيمَن قاتل على منع الزكاة.

وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: (تأثير شروط التكفير وموانعه) في الحكم على الطائفة الممتنعة.

المطلب الأول: (التأويل)

تكلم فيه المؤلف عن أنواع التأويل، والعذر بالتأويل، وأثر التأويل في الطائفة الممتنعة، والمراد بكون التأويل سائغًا في هذا الباب، كما تناول بالبيان الفرق بيْن تأويل البغاة اصطلاحًا، وتأويل الطائفة الممتنعة، وأثر ذلك، وكذا الفرق بين تأويل الخوارج وتأويل البغاة اصطلاحًا، وتأثير وجود التأويل في صفة القتال، وبعض الأحكام الأخرى المتعلقة بالتأويل.

المطلب الثاني: (الجهل)

أما المطلب الثاني فتكلم فيه المؤلف عن اعتبار الجهل في الطائفة الممتنعة خاصة، وتأثيره في القتال.

المطلب الثالث

تناول المؤلف في المطلب الثالث: تأثير القوة والعجز، وختم هذا الكتاب بذكر ضوابط وقيود لابد منها في فهم هذه القضية الشائكة.

الخلاصة

يعد هذا الكتاب بما اشتمل عليه مِن مباحث وتحريرات إضافة للمكتبة الإسلامية في قضية شائكة تعظم الحاجة في زماننا إلى فهمها وإدراك أبعادها إدراكا صحيحا.



من فتاوى كبار العلماء

ترك الصلاة بعد إجراء العملية الجراحية

■ **نرى كثيرا من الناس إذا نام أحدهم في المستشفى وعملت له عملية ولو بسيطة يترك الصلاة طيلة وجوده في المستشفى وحجته أنه لا يتمكن من الوضوء وأن جسمه عليه نجاسات فهل يعذرون بذلك؟**

● هذا العمل جهل وخطأ فإن الواجب على المؤمن أن يقيم الصلاة في وقتها بقدر استطاعته قال النبي -ﷺ- لعمران بن حصين: « صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب» وقال الله -تعالى- في القرآن: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ فجعل الله للمريض الذي لا يستطيع استعمال الماء التيمم بدلا له، وكذلك بالنسبة للصلاة فإن الرسول -ﷺ- جعلها مراحل:» صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب» فيجب على المريض أن يتوضأ أولا فإن لم يستطع يتيمم، ثم يجب أن يصلي قائما فإن لم يستطع فقاعدا يومئ بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض إذا لم يستطع السجود، فإن كان يتمكن من السجود سجد، فإن لم يستطع أن يصلي قاعدا صلى على جنب، ويومئ بالركوع والسجود، فإن لم يستطع الحركة إطلاقا ولكن قلبه معه فإنه ينوي الصلاة ينوي الأفعال ويتكلم بالأقوال فمثلا يكبر ويقرأ الفاتحة فإذا وصل إلى الركوع نوى أنه ركع، وقال الله أكبر، وسبح سبحان ربي العظيم، ثم قال سمع الله لمن حمده، ونوى الرفع، وهكذا بقية الأفعال، ولا يجوز له أن يؤخر الصلاة حتى لو فرض أن عليه نجاسة في بدنه أو في ثوبه أو في الفراش الذي تحته ولم يتمكن من إزالتها فإن ذلك لا يضره، فيصلي على حسب حاله لقوله -تعالى-: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.

(العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله)

غسل الجنابة وغسل الجمعة

■ **إذا اغتسل المسلم للجنابة قبيل فجر الجمعة أو بعده هل يكفي هذا لغسل الجمعة؟**

● أما ما كان قبل الفجر فلا يكفي؛ لأنه ما دخل اليوم، وأما بعد الفجر فيكفي، لكن الأفضل أن يعيده بعد طلوع الشمس حتى يتأكد أنه حصل في يوم الجمعة، ثم إن العلماء -رحمهم الله- قالوا: إن الأفضل أن يكون الاغتسال عند المضي إلى الصلاة، فمثلا إذا قدرنا أنه يذهب إلى الصلاة قبل الزوال بساعتين، فإنه يغتسل في ذلك الوقت، ووجه ذلك أنه إذا تطهر عند المضي صار أبلغ وأضمن من أن يحصل له وسخ بعد ذلك.

(العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله)

أسباب التهاون في الصلاة

■ **كثير من الناس اليوم يتهاونون في الصلاة فما الأسباب في نظركم؟ وما السبل التي يمكن اتباعها لإرجاع المسلمين إليها إن شاء الله تعالى؟**

● أسباب ذلك متعددة كثيرة من أهمها وأعظمها اتباع الشهوات، ولهذا قرن الله -تبارك وتعالى- إضاعة الصلاة باتباع الشهوات فقال -سبحانه-: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، ومن أسبابها أيضا جهل الناس بحقيقة هذه الصلاة وأهميتها وفضائلها وبثوابها وبمرتبتها عند الله -عز وجل- إلى غير ذلك من الأمور التي أوجبت لكثير منهم الاستهانة بها، ومن أسباب التهاون بالصلاة أن كثيرا من المصلين إذا صلوا إنما يصلونها - نسأل الله لنا ولهم العفو والعافية - كعمل روتيني عمل جارحي أي عمل جوارح فقط لا عمل قلب، فلا تكاد تجد عندهم خضوعا ولا خشوعا ولا ذلا بين يدي الله -عز وجل-، ولا استحضارا لما يقولون في صلاتهم ولا استحضارا لما يفعلون، فلهذا يخرجون من الصلاة لم يستفيدوا منها شيئا، ولم يحصل لقلوبهم نور ولم يحصل لإيمانهم زيادة، ولم يحصل منهم انتهاء عن الفحشاء والمنكر، كل ذلك من أجل أنهم يصلون صلاة جسد بلا روح، ولو أنهم أعطوا الصلاة حقها من الخشوع وحضور القلب والإنابة إلى الله وشعور الإنسان بأنه واقف بين يدي ربه لكان يحب الصلاة ويألفها ويهوى قلبه إليها؛ ولهذا قال النبي -ﷺ-: « جعلت قرة عيني في الصلاة».

(العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله

يوم الجمعة وحسن الخاتمة

■ **هل يوم الجمعة من علامات حسن الخاتمة؟**

● لا، الموت يكون في كل يوم على حد سواء ولو كان للأيام مزية لكان يوم الاثنين أولى بها؛ لأنه اليوم الذي مات فيه النبي -ﷺ-، لكن لا أعلم ليوم من الأيام مزية في الموت فيه.

(العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله)

بيان فضل صيام شهر الله المحرم

■ متى يبدأ صيام شهر المحرم، أو صيام عاشوراء، هل يبدأ في أول المحرم، أو في وسطه أو في آخره، وكم عدد صيامه؟

● يقول النبي -ﷺ-: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم» وهو عاشوراء، والمعنى أن يصومه كله من أوله إلى آخره، من أول يوم منه إلى نهايته، هذا معنى الحديث، ولكن يخص منه يوم التاسع والعاشر، أو العاشر والحادي عشر، لمن لم يصمه كله، فإن النبي -ﷺ-، كان يصوم عاشوراء في الجاهلية، وكانت تصومه قريش أيضا، فلما قدم المدينة -ﷺ-، وجد اليهود يصومونه، فسألهم عن ذلك، فقالوا: يوم نجى الله فيه موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه، فصامه شكرا لله، ونحن نصومه، فقال النبي -ﷺ-: «نحن أحق وأولى بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه، فالسنة أن يصام هذا اليوم يوم عاشوراء، والسنة أن يصام قبله يوم أو بعده يوم، لما روي عنه -ﷺ-، أنه قال: «صوموا يوما قبله ويوما بعده» وفي لفظ: «يوما قبله أو يوما بعده» وفي حديث آخر: «لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع» يعني مع العاشر، فهذا هو الأفضل، أن يصام العاشر؛ لأنه يوم عظيم حصل فيه الخير العظيم لموسى والمسلمين، وصامه نبينا محمد -ﷺ-، فنحن نصومه تأسيا بنبينا -ﷺ-، وعملا بما شرع -ﷺ-، ونصوم معه يوما قبله أو يوما بعده مخالفة لليهود، والأفضل التاسع مع العاشر، للحديث: «لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع»، فإن صام العاشر والحادي عشر، أو صام الثلاثة فكلها حسن، وإن صام التاسع والعاشر والحادي عشر، كله طيب، وفيه مخالفة لليهود فإن صام الشهر كله، فهو أفضل وأفضل.

(سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالى)

الكتب التي تعلم أسماء الله وصفاته

■ ما الكتب الي تنصحون بقراءتها لتعلم أسماء الله وصفاته؟

● الكتب التي ننصح بقراءتها في هذا المجال فإن أعظم كتاب هو القرآن، ننصحك بالقرآن العظيم، ننصح جميع المسلمين بالعناية بالقرآن، والإكثار من تلاوته؛ فهو كتاب الله، فيه الهدى والنور، كما قال -سبحانه-: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، وقال -تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾، وقال -سبحانه-: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وقال -سبحانه-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، فنوصي المسلمين رجالا ونساء بالقرآن، وبالإكثار من تلاوته، وتدبر معانيه، وحفظه، أو ما تيسر منه؛ فهو كتاب الله، فيه الهدى والنور، فيه قصص الأخيار؛ حتى يتأسى بهم المؤمن، فيه قصص الأشرار؛ حتى تجتنب أعمالهم، ثم كتب الحديث الشريف، كالصحيحين: البخاري، ومسلم، والسنن الأربعة، لمن كان عنده علم يقرأ فيهما، وأما المبتدئ، فنوصيه بمثل المختصرات التي يستطيع حفظها، مثل بلوغ المرام للحافظ ابن حجر، ومثل كتاب التوحيد، وثلاثة الأصول، والأربع القواعد للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، وكشف الشبهات كذلك له -رحمه الله-، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وعمدة الحديث للشيخ الحافظ عبد الغني المقدسي. هذه كتب ينبغي حفظها، تفيد وتنفع، من الكتب المهمة.

(سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالى)

فضل تعلم أسماء الله وصفاته

■ هل تعلم صفات الله -عز وجل- واجب أم مستحب؟ وماذا تقولون في الذين يقولون بأن تعلم هذه الصفات لا ينبغي؟

● تعلم أسماء الله وصفاته من القرآن العظيم والسنة المطهرة من أفضل القربات؛ لأن هذا يعين على تعظيم الله وتقديسه، وسؤاله بأسمائه وصفاته -سبحانه وتعالى-، والله يقول: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ دل على أنه يشرع أن نعرفها حتى ندعوه بها، ويقول النبي -ﷺ-: «إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة»، دل على أنه وتر يحب الوتر، ودل على أنه ينبغي لأهل العلم ولأهل الإيمان تعلم أسماء الله وصفاته، حتى يسألوه بها، وحتى يثنوا عليه بها، وحتى يعملوا بمقتضاها، وتحصل لهم الجنة، هكذا ينبغي للمؤمن أن يعلم أن الله -جل وعلا- ذو الأسماء الحسنى، وأنه لا شبيه له، ولا كفو له ولا ند له، وأنه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يشبه الله بخلقه؛ لأنه -سبحانه- يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، وهو الرحمن رحمة لا كرحمتنا، وهو العلي علوا لا كعلونا، وهو المستوي على العرش لا كاستوائنا، رحيم لا كرحمتنا، يغضب لا كغضبنا، ويضحك لا كضحكنا، إلى غير هذا من صفاته -سبحانه وتعالى.

(سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالى)



الدماء شأنها خطير

سالم الناشي
رئيس تحرير مجلة الفرقان

٢٠٢١/٨/٢٣م

• يحرم المسلم على أخيه دمًا وعرضًا ومالًا، فمن أتى بالشهادتين، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فإنه يعد مسلمًا معصوم الدم والمال، إلا أن يأتي بناقض من نواقض الإسلام، أو بشيء يوجب الحد عليه.

• فعن النبي -[ﷺ]- قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله».

• فإذا مكّن الله لقوم في الأرض، مثل النبي محمد -[ﷺ]- وأصحابه الكرام، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، لا أن يسفكوا دماء بعضهم بعضا، أو يعتدي بعضهم على حرمات بعض، قال -تعالى-: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١).

• وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة دالة على تحريم دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، ففي حجة الوداع خطب النبي -[ﷺ]- الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»

• ولما كان الأمر خطيرا، استغل النبي -[ﷺ]- المكان والزمان؛ ليعلم الناس أن هذا الأمر عظيم، فمكة، ويوم النحر، وشهر ذي الحجة كله حرام.. ثم رفع يده يستشهد ربه عليهم -[ﷺ]-، قال لهم: «إنكم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت»، فرفع أصبعه إلى السماء إلى الله يقول: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد».

• ثم بين النبي -[ﷺ]- القواعد العامة في تعامل المسلم مع أخيه المسلم لبناء مجتمع متماسك، فقال: «لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هاهُنا ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرّاتٍ بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ».

• فليس للمسلم أن يظلم أخاه المسلم بأي نوع من الظلم، فلا يأخذ ماله بغير حق، ولا يعتدي عليه بالضرب ولا بالجراحة ولا بالتعذيب، وليس له أن يسفك دمه بالقتل وهو أعظمها وأشدها، ولا حتى أن يشير إليه بشيء قد يضره به، قال -[ﷺ]-: «مَن أشارَ إلى أخيه بحَديدَةٍ، فإنّ المَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حتّى يَدَعَهُ، وإنْ كانَ أخاهُ لأَبِيهِ وأُمِّهِ». قال النووي: «فيه تَأْكِيد حُرْمَة الْمُسْلِم، وَالنَّهْي الشَّدِيد عَنْ تَرْوِيعه وَتَخْوِيفه وَالتَّعَرُّض لَهُ بِمَا قَدْ يُؤْذِيه.. وَسَوَاء كَانَ هَذَا هَزْلًا وَلَعِبًا، أَمْ لَا؛ لِأَنَّ تَرْوِيع الْمُسْلِم حَرَام بِكُلِّ حَال».

• وليس بعد الشرك جريمة أعظم من قتل النفس بغير حق، فالقتل جريمة عظيمة، وقد حذر الله منه في قوله -جل وعلا-: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٩٣) هذا في المؤمن، وقال في المعاهد: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة»، فهذا تحذير من قتل المعاهدين والمستأمنين، فالدماء شأنها خطير، ولهذا صح عن رسول الله -[ﷺ]- أنه قال: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء».









قناة الخير الثقافية
قسم الإنتاج الفني

قسم الإنتاج الفني متخصص في إنتاج البرامج التلفزيونية والفلاشات الإعلامية والجرافيك ومتخصص تصوير وتسجيل (الدورات العلمية ودروس المساجد) التي تقيمها الجمعية واللجان التابعة لها.

وحدة الإنتاج المرئي:

- وحدة التصوير والمونتاج متخصص في إنتاج البرامج التلفزيونية والإذاعية.
- وحدة بث وتشغيل قناة الخير الثقافية و تشغيل ومتابعة السوشيال ميديا الخاصة بالقسم (توتير وإنستجرام والفيس بوك واليوتيوب وصفحة القناة.
- تصوير المحاضرات والدروس وفعاليات الجمعية واللجان التابعة لها.



وحدة الإنتاج الصوتي:

- الاستديو الصوتي : يقوم الاستديو الصوتي بتسجيل الاصدارات الصوتية (القرآن الكريم - المحاضرات والدورس الخاصة بالقسم والجمعية واللجان التابعة لها وكبار علماء السلف في العالم الاسلامي) بتقنية صوتيه عالمية من خلال أجهزة وكمبيوترات مجهزة للمونتاج.
- الأرشيف الرقمي: نسخ وطباعة CD و DVD وتحويل الأشرطة القديمة إلي ملفات رقمية لإعادة نشرة من جديد ورفعها على المواقع الالكترونية.



25362528 - 25362529


جمعية صندوق إعانة المرضى
Patients Helping Fund Society
مشروع علاج
مرضى السرطان
خلّك
معاهم
تجوز الزكاة
قيمة
السهم
10
د.ك